الباب الخامس

" مظاهر الحياة الحضارية للأحابيش في العصر الجاهلي وصدر الإسلام "

الفصل الأول: النواحي الاقتصادية للأحابيش

الفصل الثاني: النواحي الفكرية للأحابيش

الفصل الثالث: الحياة الاجتماعية للأحابيش

obeikandl.com

الفصل الأول

النواحي الاقتصادية للأحابيش

في هذا الباب سوف تحاول الدراسة إلقاء الضوء على ملامح الحياة الحضارية للأحابيش من خلال إستقراء المصادر والمراجع المختلفة، محاولة رسم صورة واضحة عن الملامح الحضارية للأحابيش وإسهاماتهم الحضارية في الحضارة العربية الإسلامية، خاصة أنه لم توجد أى دراسة مسبقة تناولت النواحى الحضارية لقبائل الأحابيش وسوف يكون الحديث في هذا الباب عن النواحى الاقتصادية والفكرية والاجتماعية للأحابيش في جاهليتهم وبعد إسلامهم.

سيكون الحديث عن الحياة الاقتصادية للأحابيش متمثلاً في الزراعة والثروة الحيوانية والصناعة والتجارة.

الزراعة:-

تعتبر الزراعة وما تَغُله الأرض من نباتات مختلفة سواء كانت حشائش أو خضر وفاكهة وأشجار المقوم الأساسى لتغذية الكائنات الحية، وتعتمد عليها كل الكائنات الحية بصورة مباشرة أو غير مباشرة.

وتختلف طبيعة الأراضي من منطقة لأخرى، ويؤدي ذلك لتنوع الحاصلات الزراعية، وما يهمنا هنا هو الزراعة عند الأحابيش، فلقد حكمت الظروف البيئية والمناخية للمواقع التي سكنها الأحابيش في

الحجاز أن يعيش سكان تلك المناطق في شظف من العيش بسبب شدة الحر[١] وقلة المياه، وقد كانت هذه المنطقة، خاصة مكة مجدبة غير صالحة للزراعة[٢]، تنعدم فيها المياه حتى نزلت السيدة هاجر وابنها إسماعيل حول البيت في وادٍ غير ذي زرع، وفُجِر ماء زمزم بأمر الله، حتى إن العمالقة أو الجراهمة على مختلف الأقوال لما رأوا الماء تعجبوا واستأذنوا السيدة هاجر أن يقيموا بجوارها[٣]، وبرغم ذلك ظل الوادي غير ذي زرع ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنْ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنْ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾[٤]. فبالرغم من أن هذا الوادي كان غير ذى زرع إلا أنه كانت تأتيه مختلف أنواع الثمرات ﴿ أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَماً آمِناً يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقاً مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾[٥].

والزراعة تتوقف بشكل أساسي على المياه، وبه تخرج الأرض النبات، قال تعالى:-

---

(١) ابن خلدون: المقدمة، تحقيق/حامد الطاهر، دار الفجر، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص١٢٠.

(٢) أحمد الشريف: مكة والمدينة، ص١٨٤.

(٣) الشعبى: نهاية الأرب، مخطوط بدار المخطوطات، بالقاهرة، رقم٤٥٠٥، ورق٤٦.

(٤) سورة إبراهيم: آية ٣٧.

(٥) سورة القصص: آية ٥٧.

﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِراً نُخْرِجُ مِنْهُ حَبّاً مُتَرَاكِباً وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[١].

والمناطق الشمالية من الجزيرة العربية صحراوية تندر فيها المياه وبخاصة في بادية الحجاز ونجد[٢].

ولم تكن المياه نادرة أو قليلة في كل أنحاء شبه الجزيرة العربية بل كانت هناك مناطق تنعم بكثرة المياه كاليمن التى بني فيها سدود لحجز المياه وتنظيم الرى كسد مأرب، والتي كان يقيم فيها أجداد بني المصطلق والحيا الخزاعيان الأحابيش.

كما أن المناطق المحيطة بالحجاز كالطائف والوديان الوجودة بين مكة وجدة كانت تنبت مختلف النباتات كالنخيل والأعناب والرمان والزيتون والفاكهة والشعير[٣] وغيرها من النباتات.

وكان بنو مدلج أقارب بني الحارث بن عبد مناة وبني الديل لديهم أرض يزرعونها وكان لهم نخيل[٤]، وكان لطارق بن المرتفع

(١) سورة الأنعام: آية ٩٩.

(٢) محمود عرفة: المرجع السابق، ص٢٨٧.

(٣) أحمد الشريف: المرجع السابق، ص١٨٤.

(٤) محمود عرفة: المرجع السابق، ص٢٨٩.

حوائط[١] أى بساتين وعلى الرغم من قلة الزراعة في الحجاز إلا أن الأحابيش وأهل مكة قد عوضهم الله بالتجارة التى جعلتهم يستوردون ما يحتاجونه من الثمار، كما أن الحجاج من خارج الحجاز على ما يبدو كانوا يجلبون أيضاً معهم ثمار بلادهم للاتجار فيها، لكن أهم نبات كان يحتاجه العرب هو التمر الذى كان يعتمد عليه أهل الجزيرة العربية في حياتهم ومعايشهم[٢] وكانت المدينة مشهورة بالتمر وزراعته.

وصدق الله حيث قال: ﴿أولم نمكن لهم حرماً آمنا يجبى إليه ثمرات كل شئ رزقاً من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾[٣].

الثروة الحيوانية:

لقد عرف الأحابيش كغيرهم من عرب شبه الجزيرة بوجه عام وعرب الحجاز بوجه خاص تربية الحيوانات، وتأتي في مقدمة هذه الحيوانات الجمال أو الإبل أو الناقة أو البعير، والجمل من أقدم الحيوانات التى عرفها الإنسان، ولقد دلت الحفريات على قدم هذا الحيوان، إذ توجد حفائره في أواخر عصر البلايستوسين، وكان يعيش في شبه الجزيرة وجنوب الشام حيواناً وحشياً ثم نذرت حفرياته حتى لم تعد توجد في الشمال الأفريقي، أما في الجزيرة العربية فلم يُعثر له على حفريات إلا في

(١) الفاكهى: ج٤ص١٢٥.

(٢) محمود عرفة: المرجع السابق، ص٢٩٤.

(٣) سورة القصص: آية ٥٧.

عصر العرب البائدة أى قبل قرابة الثلاثين ألف سنه ثم ندر حتى لم نعد نجد له حفريات إلا في جنوب العراق وشمال اليمن، وقد بدأ إستئناس الجمل جنوبي العراق قبل خمس وعشرين ألف سنة على وجه التقريب[١]، ولم تذكر مصادر شبه الجزيرة والهلال الخصيب ومصر اسم الجمل صراحة إلا في النصف الثانى من الألف الثانى قبل الميلاد تقريباً في القرن ١٢ ق.م وهذا التاريخ هو ينطبق على الفترة التى استخدم فيها الجمل في النقل في شبه الجزيرة العربية[٢].

وهناك نقش آشوريّ محفوظ بالمتحف البريطانى تحت رقم ١١٨٩٠١ يصور جانباً من الغنائم التى حصل عليها الملك الأشورى تجلات بلاصر الثالث الذي حكم بلاد في الفترة ما بين ٧٤٤: ٧٢٧ق.م[٣]، ويسرد عدد الغنائم التى حصل عليها الامبراطور في حربه ضد أحد أعدائه

(١) حسين مؤنس: تاريخ قريش، ص٢٥.

(٢) عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص٢٤.

(٣) تولى الملك تجلات بلاسر الثالث عرش آشور تقريباً عام ٧٤٥ق.م وأسس الامبراطورية الاشورية الثانية، وبعد توليه الحكم عمل على توسيع رقعة دولته وإحلال هيبتها في نفوس الشعوب المجاورة له، وقد بدأ أعماله العسكرية ضد الميدين في فارس ثم بابل وأعلن نفسه ملكاً عليها في عام ٧٢٩ق، تحت اسم بولو كما تدخل في شئون مملكة يهوذا وحصل على الجزية من العديد من البلدان مثل صور وصيدا ووشق وسبأ، وقضى على المملكة الآرامية بدمشق عام٧٣٢ ق.م ونقل أهلها لمناطق أخرى. أحمد أمين سليم: دراسات في تاريخ وحضارة الشرق الأدنى القديم (العراق، إيران، أسيا الصغرى)، دار المعرفة الجامعية، الأسكندرية، ١٩٩٨م، ص٢٧٣.

المسمى(شمسي)[١] وعلى النقش صورة أسيرة تستغيث ، وبعض الجمال، وقد قدر عدد الجمال بـ ٣٠٠٠٠ جمل بالإضافة إلى ٢٠٠٠٠من الماشية و٥٠٠٠ كيس بهارات[٢]، ولاشك أن طبيعة شبه الجزيرة العربية ملائمة تماماً لعيش الجمال إذ إن الجمل ينفر من البرد ويميل إلى العيش في الدفء[٣] خاصة في الأماكن الموحشة التى لا يستطيع غيره من الحيوانات العيش فيها، فهو قد تعود على أكل الحشائش والنباتات – كالشوك والصبار دون أن تضره، كما يستطيع الاستغناء عن الماء لأيام طويلة، إذ أنه يشرب في المرة الواحدة ما يقرب من ١٤٠ليتراً، يتحول هذا الماء إلى مادة هلامية تختزن في جهاز خاص في جسده من الأوعية والشراين، كما أن خُفه يساعده على السير في الرمال دون أن تسوخ[٤]، ولاشك أنه باستئناس الجمل استطاع العرب أن يتوسعوا في تجارتهم ويسيروا مسافات طويلة مكنتهم من الوصول للمدن المجاورة لهم، وقد اشتهر بنو الأسرة بن ناشرة من بنى جذيمة الأحابيش أنهم أكثر بنى كنانة إبلاً[٥]، كما كان عند بني المصطلق الأحابيش عدة آلاف من البعير فقد كان عدد الإبل التى استولى عليها المسلمون يوم المريسيع ألفي بعير[٦]، وهذه البعير

---

(١) شمسي (سمسي أو سمس أو شمس) هي ملكة العرب كما جاء في نفش للملك تجلات بلاصرالثالث. فايزة محمود صقر: العلاقات بين العرب والعراق القديم ، ص١٠٢.

(٢) R.Hoyland: ARABIA AND THE ARABS. London ٢٠٠٣ p.٦٠.

(٣) ابن خلدون: المصدر السابق، ص١٦٢- ١٦٣.

(٤) حسين مؤنس: المرجع السابق، ص٢٨.

(٥) ابن الكلبى: جمهرة النسب، ص١٦١.

(٦) ابن سعد: ج٢ص٨٩.

ليست كل ما كان يملكه بنو المصطلق، بل كان هناك غيرها بدليل أن الحارث بن أبي ضرار والد أم المؤمنين جويرية بنت الحارث- رضى الله عنها- قد أتى إلى النبي- صلى الله عليه وسلم- بعدد من الإبل لكي يفتدى به ابنته من الأسر(١).

ولم تقتصر ثروة الأحابيش الحيوانية على الجمال فقط بل كان هناك الخيول التى لا غنى لهم عنها في الحروب بالإضافة إلى استخدامها كأحد وسائل التسلية والمواصلات، وكان لابن جامع من بنى المصطلق إبل كثيرة(٢)، كما كان للأحابيش عدد كبير من الماشية، فكانت عدد الشياه التى حصل عليها المسلمون من بنى المصطلق يوم المريسيع خمسة آلاف شاة(٣)، كما كان هناك من بنى الديل من عنده غنم مثل سعر الديلى الذى كان في غنم له فأتاه رجلان من الصحابة لكى يأخذوا منه صدقة غنمه(٤)، كما كان هناك أحد بنى الديل يرعى غنماً له قتله عمرو بن أميه الضمرى لما سمعه يتطاول على الإسلام(٥).

---

(١) ابن هشام: ج٣ص١٨٧.

(٢) شرح أشعار: هذيل، ج٢ص٥٩١.

(٣) ابن سعد: ج٢ص٨٩.

(٤) ابن سلام: الأموال، ص٤٠٩؛ البغوى: ج٣، ص٢٧٩؛ البكرى: معجم ما استعجم، ج٤، ص٧٢؛ أسد الغابة: ج٢، ص٤٧٠؛ ابن حجر: الإصابة، ج٣ص٩٣.

(٥) الطبرى: تاريخ الامم والملوك، ج٥ص٩٥.

٢- الصناعة والحرف:

إذا تحدثنا عن الصناعات والحرف التى عرفها الأحابيش فنجدها كغيرها من الصناعات والحرف لدى عرب الحجاز وغيرهم من العرب الذين عاشوا بعيداً عن الحضر، فلم يعرف هؤلاء الصناعات وغيرها من الحرف كما عرف المتحضرون سكان الحضر، ويرى ابن خلدون أن السبب في عدم معرفة العرب أو بعدهم عن الصنائع إنما يرجع إلى تمكن البداوة في العرب وبعدهم عن العمران الحضري، بعكس العجم فإنهم أعرف الناس بالصناعات لأنهم أعرق في العمران الحضرى وأبعد عن البدو وعمرانه[١]، حتى أن عرب اليمن والبحرين وعمان والجزيرة إن كانوا قد عرفوا الصناعات فإن ذلك إلى تعاقب الأمم الكثيرة وتملكهم عليهم لعدة آلاف من السنين واختطاطهم المدن والأمصار، وبلغوا الغاية من الحضارة والترف كحضارة عاد وثمود والعمالقة وحمير والتبابعة والأذواء، فطال أمد الملك والحضارة استحكمت صبغتها وتوفرت الصنائع ورسمت فلم تبلى ببلى الدولة[٢].

ونلاحظ أن الأعمال والحرف التي قام بها بعض العرب كالطب وصناعة السلاح مثلاً قام بها بعض الأفراد ولم تكن صناعات أو حرف

(١) ابن خلدون: المصدر السابق، ص٤٨٦.

(٢) ابن خلدون: المصدر السابق، ص٤٨٧.

منظمة، كما أن العرب بتجارتهم كانوا يستوردون ما يشاءون من مواد كالأثواب والأسلحة والحلي وغيرها.

ويمكن القول أن الحرف التى عرفها الأحابيش وغيرهم من العرب المجاورين لم تتعد صناعة الجبن وسلأ السمن وغزل الصوف والشعر وصناعة الخيام وصناعة الأصنام في الجاهلية وبعض الأسلحة.

٣- التجارة: -

تعتبر التجارة لدى العربى القديم ذات أهمية كبيرة ، فحياته كانت قائمة بشكل أساسى عليها، ولقد كان العرب منذ القدم متفوقين تجاراً، ولقد أَسَال ذلك لُعاب بعض دول الحضارات القديمة حيث رغبوا في الاستيلاء على تجارة العرب والطرق التجارية الموجودة في شبه الجزيرة العربية، فعلى سبيل المثال كان من ضمن الدوافع التى حملت الإسكندر الأكبر على التفكير بشن حملة على بلاد العرب هو الدافع التجاري سواء من ناحية ثروات العرب أو أهمية موقعهم، وقد فطن الإسكندر إلى أهمية السيطرة على بلاد العرب لأنه رأى في ذلك اكتمال حلقة الاتصال البحرى بين شرق الإمبراطورية اليونانية وغربها، وأن ذلك يدعم نفوذه السياسي والإقتصادي[1]، وبالفعل أخذ الإسكندر يرسل الحملات الاستكشافية لإستكشاف بلاد العرب سعياً في سيطرته على المياه الدافئة ، لكن القدر حال دون استكمال مشروع الإسكندر الذى ما لبث أن توفى،

(١) السيد جاد: المرجع السابق، ص١٠١.

أما خلفاؤه البطالسة فقد تخطوا جزيرة العرب ومدوا نشاط أسطولهم التجارى في البحر الأحمر، ومدوا نفوذهم التجاري إلى بلاد الحبشة[١]، أما الرومان فقد حاولوا أكثر من مرة السيطرة على بلاد العرب لكن حملاتهم باءت بالفشل، وسبق ذكر ذلك.

سيكون الحديث هنا مقتصرا على محاولة إبراز دور الأحابيش التجارى وملامح حياتهم التجارية، فعلى الرغم من حديث الكثير من الباحثين والمؤلفين عن مظاهر الحياة التجارية في بلاد العرب قبل الإسلام وصدر الإسلام إلا أنهم أغفلوا إبراز ملامح الحياة التجارية لدى الأحابيش، حتى أن الإشارات إلى علاقة الأحابيش بالتجارة تكاد تكون منعدمة، وستحاول الدراسة هنا إبراز بعض تلك الملامح الخاصة بتجارة الأحابيش.

ففي البداية يمكن القول إن الأحابيش وعلاقتهم بالتجارة لم تكن بمعزل عن تجارة قريش وارتفاع شأن مكة في النواحى التجارية ، فقد كانت تجارة مكة وما حولها من تجارة غيرها من العرب محلية، ثم أخذت في النمو شيئاً فشيئاً حتى أصبحت تجارة عالمية، فقد كانت التجارة العربية الخارجية في يد تجار اليمن، في حين كانت تجارة مكة مقتصرة على التجارة الداخلية، لكن في بداية القرن السادس الميلادى تدهورت أوضاع اليمن بسبب الصراع الدينى بين اليهودية والمسيحية،

(١) فيكتور سحاب: المرجع السابق، ص٥٠.

وقد انتهى الأمر بسقوط اليمن في يد الأحباش في النصف الأول من القرن السادس[١].

ولاشك أن ذلك قد أثّر على تجارة اليمن، مما جعل مكة تسعى لحل محل اليمن في الاستحواز على التجارة الخارجية، ولقد كانت الظروف تسمح بأن تقوم قريش بهذا الدور، فقد كان الصراع بين بيزنطة وفارس في أوائل القرن السادس في عهد أنستاسيوس(٤٩١- ٥١٥م) واشتد في عهد خلفائه جستينوس الأول(جستين)، وجستنيانوس(جستنيان) وجستينوس الثاني وطيباريوس وموريقوس، ثم اجتياح كسرى لبلاد الشرق ثم الهجوم المضاد من الإمبراطور هرقل، كل ذلك قد أثر على المحطات التجارية الواقعة في وسط الصراع بين الإمبراطوريتين، وقد زاد من ذلك اشتراك الأحباش في مجال السياسة الدولية في عهد (جستين) ثم (جستنيان) في عهده غزا الأحباش اليمن ٥٢٤- ٥٢٥م بعد حادثة الأخدود الشهيرة.

ولقد أدى ذلك الاحتلال إلى سقوط تجارة اليمن، وقابله صعود تجارة مكة على نفس الشبكة التجارية التى قد نظمها الحميريون قبل سقوط اليمن في يد الأحباش، فأصبحت تجارة مكة هى الأولى في غرب الجزيرة العربية[٢]، ثم أتبع ذلك قيام أبناء عبد مناف بعقد اتفاقيات

(١) أحمد الشريف: مكة والمدينة، ص١٧٣.

(٢) فيكتور سحاب: المرجع السابق، ص١٩٣- ١٩٥.

الإيلاف، فقد أخذ هاشم العهد من هرقل للتجارة في الشام، وعبد شمس في الحبشة، والمطلب في اليمن، ونوفل في العراق[١].

و مما تجدر الإشارة إليه في هذا الصدد أن لامنس قد بدأ مقاله " الأحابيش والنظام العسكري في مكة زمن الهجرة " بقوله:-

"إن مكة بسبب مكانها من الحرم كان يجلب إليها عدد كبير من شذاذ الفقراء الخارجين عن نطاق قبائلهم من الخلعاء[٢] والصعاليك[٣]، واللصوص، والذؤبان من بني كنانة"[٤].

ومما لاشك فيه أن لامنس قد غالى في تصوره هذا بجعله مكة مأوى للشذاذ والصعاليك والخلعاء وغيرهم من الفئات التي كانت منبوذة من

---

(١) ابن حبيب: المحبر، ص١٨٧؛ حمزة الأصبهانى: الدرة الفاخرة، تحقيق/عبد المجيد قطامش، دار المعارف، د.ت، ج٢، ص٣٥٦.

(٢) الخليع: يقال للرجل الذي سلك سلوكاً معيباً من شأنه أن يسئ إلى سمعة القبيلة بين القبائل، فعندئذ يحق للقبيلة أن تتحلل من العقد الاجتماعى القائم بينها وبينه. أحمد إبراهيم الشريف: المرجع السابق ، ص ٣٧.

(٣) الصعاليك: طائفة من الناس لا يجمعهم نسب ولا زمان ولا مكان، وإنما جمعتهم وحدة الظروف، وقد خرجوا على طاعة أهلهم وبيوتهم وعشائرهم وقبائلهم ويقال الصعلوك على الفقير الذي لا مال له، ومن أهم أعمالهم السطو والسلب والنهب وقطع الطريق، كما كانوا أيضاً يتميزون بالشجاعة وقول الشعر.ابن منظور: لسان العرب، ج٥ ، ص ٣٤٠، مادة "صعلك"؛ جواد على: المفصل، ج٩، ص ٦٠١؛ عبد الحليم حنفي: الشنفرى الصعلوك، القاهرة، ١٩٨٩م، ص ٢٥- ٢٧.

(٤) هنرى لامنس: الأحابيش ، ص ٩. الذؤبان: تطلق على صعاليك العرب ولصوصها لأنهم كالذئبان. ابن منظور: لسان العرب ، ج٣ص ٥٣٣.

مجتمعاتها وقبائلها آنذاك، في حين أغفل المكانة المتميزة التي كانت تحتلها مكانها وقتئذ وشعور الناس هناك بالأمان والطمأنينة، وأبرز دليل على ذلك قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَماً آمِناً يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقاً مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴾[١]. أي مكنّا لأهل مكة البيت الحرام الذي فيه يأمن الناس من الإغارة والقتل الواقعين من بعض العرب على بعض[٢] في المناطق الخارجة عن نطاق الحرم وما حوله كما في الآية الكريمة: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَماً آمِناً وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾[٣]، (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا) يعلموا، (جَعَلْنَا حَرَماً) أي بلدهم مكة، (وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ) قتلاً وسبياً دونهم[٤]، وفي ذلك دليل على الأمن والأمان بمكة، ولقد نطق الوحي صراحة بالأمن في مكة، ويستدل على ذلك من قوله تعالى الذي أقسم فيه الله عز وجل ﴿والتين والزيتون، وطور سنين، وهذا البلد الأمين﴾[٥].

والمراد بالبلد الأمين هنا مكة المكرمة لأمن الناس فيها جاهلية وإسلاماً[٦]. هذا ما قاله القرآن العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه

---

(١) سورة القصص: أية ٥٧.

(٢) تفسير الجلالين: جلال الدين المحلي (ت ٨٦٤هـ)، وجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)؛ مكتبة الصفا، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٤م، ص ٣٩٢.

(٣) سورة العنكبوت: أية ٦٧.

(٤) تفسير الجلالين: ص٤٠٤.

(٥) سورة التين: أية ١ - ٣.

(٦) تفسير الجلالين: ص ٥٩٧.

ولا من خلفه، أما من الناحية التاريخية، فكان بمكة الإيلاف أو المعاهدات التجارية، وهى معاهدات تجارية قد كان المكيون عقدوها مع بعض الدول المجاورة لتأمين القوافل التجارية بينما، وهذه المعاهدات كانت بين:

١- هاشم واسمه عمرو بن عبد مناف بن قصي[١] وسمي بهاشم لأنه هشم الثريد للحجاج[٢]، وعقد هاشم الإيلاف مع الروم وحلفائهم من الغساسنة[٣]، وما لبث أن مات هاشم بعد ذلك بمدة قصيرة، حيث توفي في ريعان شبابه، فقيل إنه توفى وعنده من العمر يوم مات خمس وعشرون سنه، ويقال عشرون سنه، وقد رجح البلاذري القول الأول خمس وعشرون سنة[٤].

٢- عبد المطلب بن عبد مناف بن قصي مع اليمن[٥].

٣- نوفل بن عبد مناف بن قصي مع فارس والعراق[٦].

---

(١) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، تحقيق/ عبد السلام هارون، دار المعارف. القاهرة ط ٦، د.ت، ص ١٤.

(٢) ابن الكلبى: جمهرة النسب، تحقيق د/ناجى حسن، عالم الكتب ـ بيروت. ٢٠٠٤م، ص ٢٦.

(٣) محمود عرفه: العرب قبل الإسلام، دار الثقافة العربية. القاهرة ، د.ت، ص ٣٥٠.

(٤) البلاذرى: أنساب الأشراف، تحقيق د/ محمد حميد الله، دار المعارف، القاهرة ط٣ ، د.ت، ج١ ص ٦٣.

(٥) ابن حبيب: المحبر، تحقيق/سيد كسروى، دار الغد العربي ، القاهرة، ٢٠٠٠م ، ص١٨٧.

(٦) ابن حبيب: المحبر، ص ١٨٧؛ محمود عرفه: العرب قبل الإسلام ، ص ٣٥٠.

٤- عبد شمس بن عبد مناف بن قصي مع نجاشي الحبشة[١].

أما عن بداية أخذ هذه المعاهدات فيذهب محمد حميد الله إلى جعل الإيلاف عام ٤٦٧م، حيث عقد هاشماً الإيلاف في عهد الإمبراطور البيزنطي ليون الأول الذي سالم الفرس[٢]، إلا أن أحد الباحثين رجح أن يكون بداية عقد الإيلاف في مطلع القرن السادس الميلادي[٣].

ويرى د/ جواد علي أن الإيلاف لم يكن مع الروم أو الفرس أو الحبشة وإنما كان مع سادات القبائل[٤].

وجدير بالذكر أن هذا القول لا تدعمه المصادر التي تناولت الحديث عن الإيلاف، والتي كانت تبرز وتوضح أن هاشماً على سبيل المثال قد عقد معاهدته مع قيصر روما رأساً والذي أعجب بهاشم[٥] بل إن ملك الشام - التى كانت خاضعة للسيطرة الرومانية آنذاك - أرسل مع هاشم خيلاً، فأمن به هاشم في تجارته إلى الشام[٦]، كما أخذ الإيلاف من القبائل التى تسكن في الطريق بين مكة والشام[٧].

---

(١) الألوسى: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، دار الكتب العلمية ، بيروت. د.ت، ج٣ ص ٣٨٥.

(٢) فيكتور سحاب: إيلاف قريش ، ص ٢١١.

(٣) فيكتور سحاب: ص٢١١

(٤) جواد على: المفصل، ج٧ ، ص٣٠١.

(٥) ابن حبيب: المنمق، ص٤٢.

(٦) الألوسى: بلوغ الأرب، ج٣ص٣٨٥.

(٧) ابن حبيب: المنمق ، ص٤٣.

مما سبق يمكن القول أنه لولا الأمان الذي شعر به المكيون وأهل الدول المجاورة، لما تجرءوا وأرسلوا قوافلهم التجارية تسير ذهاباً وإياباً إلا وهم يشعرون بالأمان على أنفسهم وأموالهم، وليس ذلك نفياً لما كان يحدث من البعض من الاعتداء على القوافل التجارية ولاشك أن ذلك كان يحدث في بعض الأحيان ولكن ليس في مكة وإنما حولها كما جاء في القرآن الكريم.

ويرى أحد الباحثين أن تنظيم هذه العهود التجارية كانت في وقت واحد[١]، ويرى الباحث أن هذا الرأي ينقصه بعض الصحة، حيث أن هاشم قد جاءته فرصة عقد الإيلاف مع قيصر مصادفة عندما علم قيصر بما كان يفعله هاشم بهشم الثريد فدعاه قيصر وكلمه، فأعجبه كلام هاشم، ولما رأى هاشم ذلك منه طلب من قيصر أن يكتب له كتاباً بأمان من يأتي بتجارتهم إلى بلاد قيصر، ولما حصل هاشم على ذلك الكتاب جعل يمر بكل حي من أحياء العرب بطريق الشام يأخذ من أشرافهم إيلافاً بأن يأمنوا عندهم في أرضهم بغير حلف، على أن تقوم قريش بحمل بضائعهم ويردون إليهم رأس مالهم وربحهم، فأخذ هاشم الإيلاف ممن بينه وبين الشام حتى قدم مكة[٢]، ويرى الباحث أن هاشم لما عاد ومعه الإيلاف اختمرت فكرة الإيلاف في رأسه ورأس إخوته، ورأوا أن يتوسعوا في ذلك بأن يأخذوا العهود من الدول الأخرى كالعراق والتي كانت خاضعة

---

(١) Simon: Hums ET Ilaf P, ٢١٨.

(٢) ابن حبيب: المنمق، ص٤٢- ٤٣.

لفارس آنذاك، واليمن والحبشة، ثم نظموا الرحلات التجارية إليهم رحلة الشتاء إلى اليمن والصيف إلى الشام، وقيل كانت رحلة الشتاء إلى اليمن والحبشة والعراق، والصيف إلى الشام[١].

ويرى الباحث أنه لا تعارض بين القولين، فإن رحلة الشتاء كانت إلى اليمن، ومن قال أنها كانت إلى اليمن والحبشة والعراق، فقد يكون السبب في ذلك هو أهمية التجارة إلى اليمن حتى غطت في شهرتها وربحها الرحلتين الأُخرتين إلى الحبشة والعراق واللتان كانتا متزامنتين معها في توقيت الخروج، ولم تكن تجارة مكة مع العراق بنفس القوة التى كانت عليها مع بلاد اليمن والشام[٢].

جدير بالذكر أن أحد الباحثين ادعى أن أول من عقد الإيلاف هو قصي بن كلاب مع القبائل والمدن الواقعة في الجزء الغربي من شبه الجزيرة[٣].

ولاشك أن هذا الكلام ينقصه الصحة خاصة أن قصياً ثم ابنه عبد مناف من بعده قد قضيا وقتهما في حرب استرداد السيادة على مكة من يد خزاعة وبنى بكر بن عبد مناة، ثم إعادة تنظيم مكة سياسياً واجتماعياً وإعادة تقسيم حدودها، وعلى أكثر تقدير تنظيم التجارة الداخلية، ثم بعد

---

(١) البلاذرى: المصدر السابق،ج١ص٥٩.

(٢) ذنوبة نادى: نشاط مكة التجاري قبل الإسلام، ندوة اتحاد المؤرخين العرب، ٢٠٠٠م، ص٧٩.

(٣) سيمونسن: مكة المكرمة والمدينة المنورة بين دويلات المدن ومدن القوافل العربية، ترجمة /السيد جاد، جامعة طنطا، ص١٠٧٢.

ذلك قام هاشم بن عبد مناف وإخوته بعقد الاتفاقيات التجارية الخارجية (الإيلاف) كما سبق تبيين ذلك.

وبعد أن نظم أبناء عبد مناف اتفاقيات الإيلاف، كان لزاماً عليهم أن يعملوا على تأمين سير القوافل التجارية من وإلى مكة، ونظراً لكونهم تجاراً أكثر من معرفتهم للقتال، لذا نراهم فكروا في استخدام الأحابيش سواء من كنانة أو خزاعة للدفاع عن منافعهم السياسية والتجارية[١]، ولم يكونوا مجرد جنوداً مرتزقة كما ادعى لامنس، بل كانت قريش تحالفهم ولها معهم محالفات كغيرها من القبائل الأخرى المنتشرة بين طرق القوافل التجارية، فكانت قريش تجعل لهم جعالات معينة وتشرك زعماءهم معها في تجارتها[٢] ونظراً لما أبداه الأحابيش من مظاهر القوة والشجاعة والنجدة في حروبهم التى وقفوا فيها بجانب قريش قبل عقد الإيلاف، لم تجد قريش خيراً من الأحابيش لكى تسند إليهم حماية القوافل التجارية.

ولعل الدليل أيضاً على كون الأحابيش ليسوا مجرد جنوداً مرتزقة هو اشتراكهم وخروجهم مع قريش في النزول إلى سوق عكاظ ، فكان من أعظم أسواق العرب وكان يقام في شهر ذى القعدة[٣] وهو سوق للعرب جميعاً ينزله معظم قبائلهم، فكانت تنزله قريش وهوازن وغطفان وخزاعة

(١)على إبراهيم حسن: المرجع السابق، ص١٠٧.

(٢)أحمد الشريف: المرجع السابق، ص١٢٤، أكرم العمرى:المرجع السابق،ج١ ص٧٧

(٣)عرفان حمور: سوق عكاظ، مؤسسة الرحاب ، بيروت ،ط٢٠٠٠١م، ص٥٧.

والأحابيش[١] كبني الحارث بن عبد مناة وعضل والمصطلق[٢]، بالإضافة إلى جماعات من سائر العرب تقصدها من اليمن وعمان وحضر موت والشحر والبحرين وبادية الشام والعراق منهم غسان وكنده وكلب بن وبرة والحارث ابن كعب والخصارمة وعذرة وبنى عامر بن صعصعة ومحارب بن خصفة وفزاره ومرة وحنيفة وسليم وعبس وبنى نصر بن معاوية وبنى البكاء بن عامر والأوس وهمدان ومذحج وبنى تميم وبني إياد[٣].

وكان الأحابيش كغيرهم من العرب في هذا السوق يبيعون ويشترون البضائع والمنتجات المختلفة كالطيب والمسك والعنبر والزعفران والكافور والبخور واللبان والخضاب والصمغ والحناء والأساور والخلاخيل والقلائد والسلاسل وأكواب وأباريق وثياب الكتان والقطن والحرير والأقمصة والعباءات والتمور والبخور والزبيب والزيوت والتوابل والحنطة والملح والصوف والشعر والوبر[٤]، وغيرها من البضائع، وكان أهم ما يميز هذا السوق أن التجارة فيه كانت حرة فلم يكن يفرق على المتاجرين عشور ولا خفاوه[٥]، وكان هذا السوق أيضاً مسرحاً

---

(١)ابن حبيب: المحبر، المرزوقي: المصدر السابق، ص٣٨٥، سعيد الأفغاني: أسواق العرب، ص ٢٩١.

(٢)المرزوقي: ص٣٨٥؛ محمود عرفة: المصدر السابق، ص٣٣٩.

(٣) عرفان حمور: المرجع السابق، ص٦٢- ٦٣.

(٤) المرجع السابق، ص٨٩، ٩٥.

(٥) ابن حبيب: المحبر، ص٢٧٢؛ المرزوقي: المصدر السابق، ص٣٨٥.

للمسابقات الأدبية والشعرية بين العرب الموجودون في هذا السوق[١]، وكان من النساء الأحابيش تاجرات كأم أنمار القارية كانت تتجر بمكة تبيع وتشترى[٢]، ولم يقتصر الأحابيش على حضور هذا السوق فقط، فقد كان هناك سوق ذى المجاز وهو قريب من عكاظ، كان ينتقل إليه الحضور في سوق عكاظ إذا أهل هلال ذى الحجة ويقيمون فيه حتى يوم التروية[٣] وبالطبع منهم الأحابيش، وهناك دليل يؤيد حضور الأحابيش لسوق ذى المجاز، فيروي أحد الصحابة من بنى الديل وهو ربيعة بن عباد الديلي أنه رأى النبي – صلى الله عليه وسلم- يدعوا الناس إلى الإسلام بذى المجاز[٤]، وهذا يدل على حضور الأحابيش ومنهم بنى الديل لهذا السوق، كما كان هناك سوق "مجنه" كان لكنانة ويقام في أرض كنانة[٥]، ولا يستبعد أن يكون الأحابيش من بنى كنانة يحضرونه.

هذا بالنسبة لتجارة الأحابيش الداخلية، أما بالنسبة لتجارتهم الخارجية أى خارج بلاد الحجاز، فهناك بعض الروايات تخص أحداثاً معينة، من خلالها يمكن الاستنتاج أن الأحابيش لم يكونوا مقتصرين على التجارة

---

(١) لمزيد من التفصيل عن سوق عكاظ وما كان يحدث فيه يمكن الرجوع إلى كتاب سوق عكاظ لعرفان حمور، وأسواق العرب في الجاهلية والإسلام لسعيد الأفغانى.

(٢) الفاكهى: المصدر السابق ج ٣ ص ٣١٧

(٣) المرزوقي: ص ٣٨٥.

(٤) البلاذرى: ج١١، ص١١٩؛ ابن الأثير: اسد الغابة، ج٢، ص٢٦٤؛ أكرم العمرى: ج١ص١٩٣.

(٥) الأفغاني: المرجع السابق، ص٣٤٥.

داخل الحجاز فقط ، ففي الشام كان يتاجر سعو الدئلي[١]، كما كانوا يتاجرون إلى اليمن أيضاً، وفي إحدى المرات توفي رجل من بنى جذيمة باليمن في الجاهلية فحمل ماله إلى ورثته[٢]، وقد سبق ذكر هذه الحادثة في سبب قتال خالد بن الوليد – رضى الله عنه – لبنى جذيمة، ويستدل من هذه الحادثة أن هناك من الأحابيش من كان يتاجر لليمن أيضاً وكان من الذين حضروا هذه الحادثة خالد بن عبيد الله أحد بنى الحارث بن عبد مناة[٣]، وبحكم حراسة الأحابيش لبعض قوافل قريش التجارية فلا يستبعد أن يكونوا من المتاجرين أيضاً في تلك البلاد التى تذهب إليها قريش كالشام واليمن ، كما كان هناك من بنى نفاثة من يتاجر إلى حضرموت ككلثوم وأخيه الأسود ابنى رزن من بني نفاثة[٤] الأحابيش.

(١) ابن حجر: الإصابة، ج٣ص٩٣.

(٢) ابن حبيب: المنمق، ص٢٠٧.

(٣) الاصفهانى، ج٧ص٣٠٦.

(٤) ابن حبيب: المصدر السابق، ص٢٦٤- ٢٦٥.

الفصل الثاني

النواحي الفكرية للاحابيش

" كان أبو الأسود الدؤلي خطيباً عالماً، وكان قد جمع شدة العقل وصواب الرأي وجودة اللسان، وقول الشعر والظرف..."

(الجاحظ)

الحياة الفكرية للأحابيش

يتناول هذا الفصل ملامح الحياة الفكرية للأحابيش وأبنائهم في العصر الجاهلي وصدر الإسلام، وسيكون حديث الباحث عن إبراز دور بعضهم في الشعر والحديث والتفسير وعلم القراءة والقضاء والحكمة وموقف الاحابيش من الأمثال العربية والإفتاء الديني.

أما الشعر فهو ديوان العرب، سجلوا فيه أخلاقهم وعاداتهم وأنفسهم[1]، ولم يكن الشعر مقتصراً على العرب بل لم تخل أمة من الأمم القديمة ولا الحديثة من معرفة الشعر[2]، فأحياناً يعرف تاريخ أمة من الأمم من ملاحمها الشعرية، كالإلياذة والأوديسة اللتين تعدان من أهم

(١) أحمد أمين: المرجع السابق،ص٥٧.

(٢) جرجي زيدان: تاريخ التمدن الإسلامى، دار الهلال، القاهرة، د.ت، ج٣، ص٢٥.

مصادر تاريخ الإغريق القدماء، لكن الشعر العربي على الرغم من ذلك كان له مزاق خاص، يقول عنه ابن خلدون: "غريب النزعة عزيز المنحى، إذ هو كلام مفصل قِطعاً متساوية في الوزن، متحدة في الحرف الأخير من كل قطعة وتسمى كل قطعة من هذه القطعات عندهم بيتاً ويسمى الحرف الأخير الذى تتفق به روياً وقافية ويسمى جملة الكلام إلى آخره قصيدة[١] وكلمة، وينفرد كل بيت من بإفادته في تراكيبه، حتى كأنه كلام وحده، مستقل عما قبله وبعده... "[٢].

ولقد اهتم العرب اهتماماً كبيراً بالشعر أكثر من اهتمام الأمم الأخرى بأشعارهم ويتجلى ذلك في كثرة أنواع الشعر عند العرب فهناك الشعر الخاص بالفخر والحماسة والمدح والرثاء والعتاب والغزل والتشبيب وغيرها من الأغراض[٣]، كما اهتموا به من حيث الوزن والقافية وجعلوا له بحوراً[٤].

---

(١) لا يقال للقصيدة قصيدة إلا إذا بلغت سبعة أبيات فما فوق، ومن الناس من لا يعد القصيدة، إلا ما بلغ العشرة وجاوزها ولو بسبب واحد.ابن رشيق: المصدر السابق، ج١ص١٥٨

(٢) ابن خلدون: المصدر السابق، ص٧٢١.

(٣) جرجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية، دار الهلال، القاهرة،د.ت، ط١، ص٥١.

(٤) البحر في الشعر هو الوزن الخاص الذى على مقاله يجرى الناظم، والبحور ستة عشرة بيتاً وضع الخليل بن أحمد أصول خمسة عشر منها وهى الطويل والمدين والمديد والبسيط والوافر والكامل والهزج والرجز والرمل والسريع والمنسرج والخفيف والمضارع والمقتضب والمختبث والمتقارب، ثم وضع الأخفش تلميذ سيبوية بحر المتدارك. السيد الهاشمى: ميزان الذهب، تحقيق/حسنى عبد الجليل، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ١٩٩٧م، ص٢٩.

كما وضع العرب عِلماً خاص بالشعر يعرف بعلم العروض[١].

وقد اهتم كثير من العلماء بالشعر وخصصوا مؤلفات لشرح صناعة الشعر كالسيد أحمد الهاشمى صاحب كتاب "ميزان الذهب في صناعة شعر العرب" وهناك من خصص جزءً كبيراً من مؤلفاته للحديث عن الشعر وما يلزمه من تعاريف وفنون كابن رشيق القيرواني الذي خصص جزءً كبيراً من كتابه "العمدة" للحديث عن الشعر وما يلزمه من علوم وما يتعلق به من تعاريف مختلفة.

و لن تتناول الدراسة شرح الشعر وعلومه وأنواعه وإنما ستكتفي بذكر أشهر شعراء الأحابيش، وبيان قبائلهم وبعض من أشعارهم، وبادئ ذي بدء تجدر الإشارة إلى أن الشعراء كانوا من أرقى الطبقات عقلاً، كما كان أكثر الشعراء في الجاهلية من أكرم الناس على قومهم لأن الشاعر كان يتغنى بمناقب قبيلته ويرثى موتاها ويهجو أعداءها[٢]، لذا نجد أنه إذا نبغ في أحد القبائل شاعر أتت القبائل فهنأته وصنعت الأطعمة واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر كما يصنعن في الأعراس، ويتباشر الرجال والولدان لأنه حماية لأعراضهم وذب عن أحسابهم وتخليد لمآثرهم وإشادة بذكرهم وكانوا لا يهنئون إلا بغلام يولد أو شاعر ينبغ أو فرس تنتج[٣].

---

(١) العروض: صناعة يعرف بها صحيح أوزان الشعر العربي وفاسدها، وما يعتريها من الزحافات والعلل. السيد الهاشمى، ميزان الذهب، ص٦.

(٢) أحمد أمين: المرجع السابق، ص٥٦.

(٣) ابن رشيق: المصدرالسابق،ج١ص٥٥ ؛ أحمد الحوفي: المصدر السابق، ص١١٠

وكما اهتم العرب في الجاهلية بالشعر، فإنهم اهتموا به أيضاً في الإسلام، ويكفى ذكر العبارة التى قالها ابن عباس – رضى الله عنه- " إذا قرأتم شيئاً من كتاب الله فلم تعرفوه فاطلبوه في أشعار العرب"، فإن الشعر ديوان العرب، وكان إذا سُئل عن شيء من القرآن أنشد فيه شعراً[١].

أما عن عدة الشعراء الذين عرفهم العرب سواء في جاهليتهم وإسلامهم فإنهم كُثر لدرجة أن العلماء الذين وضعوا معاجماً للشعراء وطبقاتهم لم يستطيعوا إحصاء عددهم، فيقول ابن قتيبة " والشعراء المعروفون بالشعر عند عشائرهم وقبائلهم في الجاهلية والإسلام أكثر من أن يحيط بهم محيط أو يقف من وراء عددهم واقف"[٢].

و يتفق كلاً من ابن قتيبة وابن سلام على أنه ليس من السهل إحصاء شعراء العرب وأشعارهم بل ولا يحاط بشعر قبيلة واحدة من قبائل العرب، وكذلك فرسانها وساداتها وأيامها[٣].

وهناك كثير من المصادر التى خصصت للحديث عن الشعراء سواء كانوا رجالاً أم نساء، فهناك الشعر والشعراء لابن قتيبة، وطبقات فحول الشعراء لابن سلام، ومعجم الشعراء للمرزباني، والأغاني لأبى الفرج الأصفهاني، وغيرهم الكثير، هذا بالإضافة إلى الشعراء الكثر المتناثرة

(١) ابن رشيق: المرجع السابق، ج١ص٢٥.

(٢) ابن قتيبة: الشعر والشعراء ، تحقيق/أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٣م، ج١ص٦١، ٦٢.

(٣) ابن سلام: طبقات فحول الشعراء، تحقيق/محمود شاكر، دار المدنى، جدة، د.ت، ج١ص٣.

أخبارهم في كتب الأدب واللغة والسيرة ونحن إذا ذكرنا شعراء الأحابيش، فليس ما سيذكره الباحث هم كل شعراء الأحابيش، بل سيقتصرُ على ذكر أشهرهم وبعض الأبيات من شعرهم.

فمن بنى الحارث بن عبد مناة: عمرو بن الحارث بن عبد مناة بن كنانة وهو المسمى بالأحمر وهو القائل:

وإذا تكون شديدة أدعى لها وإذا يحاس الحيس يدعى جندب[١]

ويقال إن هذا الشعر منسوب لهنئ بن أحمر الكناني[٢].

وإن كان الباحث يرجح أن يكون القائل هو عمرو الأحمر، حيث ذكر ذلك ابن الكلبى وهو من أعلم الناس بالأنساب، وقد نسب القالي هذا البيت لابن الأعرابي[٣]، ويقال إنها تنسب لزرافة الباهلي[٤].

---

(١) ابن الكلبى: جمهرة النسب، ص١٦١؛ المرزبانى: معجم الشعراء، تحقيق/أحمد فراج، الهيئة العامة لقصر الثقافة، القاهرة، د.ت، ص٢٥، ٢٦ وفي رواية المزربانى: كريهة بدلاً من شديدة. ابن حبيب: كنى الشعراء، تحقيق/سيد كسروى، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م، ص١٤٢.

(٢) الآمدى: المؤتلف والمختلف: تحقيق/كرنكو، دار الجبل، بيروت، ط١، ١٩٩١م، ص٤٥؛ ابن سعيد الأندلسي: نشوة الطرب،ج١، ص٣٨٢؛ القالي: الأمالي ، ج٣ ص٢٨٦؛ وابن منظور، ج٢، ص٦٨٣؛ الزركلى:الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٥، ٢٠٠٢م، ج٨ص١٠٠؛ إبراهيم النعانعة: شعر بنى كنانة، دار جرير، عمان، ط١، ٢٠٠٧م، ص٢٥٦-٢٥٧.

(٣) الأمالى: ج٣، ٨٥. وذكر كريهة بدل شديدة.

(٤) ابن منظور: لسان العرب، ج٣ ص ٢٦٨.

و ليعة وهو أحد شعرا بنى الحارث بن عبد مناة، ومن شعره يرثى به شخص يدعى محرث بن زبيد:-

قتلت بهم بنى ليث بن بكر بقتلى أهل ذى حزن وعقل
تأرث محرثاً وعلمت فيه منافع للعشيرة ذات فضل
وشماخاً تركت على يديه ولست على رحالتها بثقل[١]

ومنهم أيضاً خالد بن الحارث بن عبيد بن تيم بن عمرو بن الحارث بن مبذول بن الحارث بن عبد مناة بن كنانة، ذكر ابن حبيب أنه كان بليغ اللسان شاعراً[٢] ولكنه لم يذكر له شعراً.

ولم يكن الشعر مقتصراً على الرجال فقط، بل كان هناك شاعرات من الأحابيش أيضاً مثل أم حكيم واسمها جويرية بنت قارظ بن خالد الكنانية[٣] من بنى الحارث بن عبد مناة، وهى زوجة عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب[٤] كانت من شواعر العرب[٥] وقد اشتهرت بشعرها الذى رثت به ابنيها عبد الرحمن وقثم ابني عبيد الله[٦]، وسبب ذلك، أنه في سنة

(١) أبو سعيد السكرى: شرح أشعار الهذليين ،ج٢ ص٨٧٣.

(٢) ابن حبيب:المنمق، ص٢٣٩.

(٣) الأصفهانى: الأغانى، ج١٦ص٢٨٤؛ عمر كحاله: أعلام النساء، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٥٩م،ج١ص٢٨٣.

(٤) الزبيرى:المصدر السابق، ص٣١؛الأصفهانى: المصدرالسابق،ج١٦ص٢٨٤، ٢٩١

(٥) عمر كحاله: أعلام النساء، ج١، ص٢٨٣.

(٦) يذكر الزبيرى أن أبناء عبيد الله من أم حكيم هما عبد الله وعبد الرحمن، وليس قثم، وقد يكون قثم وعبد الله شخص واحد، وإن كنت أدى أن الذى قال أن أحد أبناء عبيد الله يدعى

٣٩هـ أرسل معاوية بن أبى سفيان بسر بن أبى أرطأة إلى اليمن للسيطرة عليها وإخراجها من نفوذ على بن أبى طالب، وكان عبيد الله بن العباس قد استعمله علي بن أبى طالب على صنعاء وأعمالها، ولم يزل عبيد الله على اليمن يحج بالناس إلى آخر أيام علي[١]، ولما أرسل معاوية بن أبى سفيان بسر بن أبى أرطاة إلى اليمن فرّ عبيد الله بن عباس إلى الكوفة، حتى أتى علياً، واستخلف عبد الله بن عبد المدان الحارثي على اليمن فقتله بسر هو وابنه، وقد لقي بسراً أيضاً ثقل عبيد الله بن عباس وفيه ابنان له صغيران فذبحهما[٢]، وقيل قتلهما بعد أن عاد عبيد الله إلى اليمن عقب رجوع بسر إلى الشام[٣].

وما يهمنا في ذلك أن أم حكيم لما علمت بقتل أبنيها أخذت تطوف وتقول ترثي ابنيها وهي لا تعقل أي شئ إلا خبر مقتل ابنيها:

ألا يا من سبى الأخوين ... أمهما هى الثكلى
تسائل من رأى ابنيها ... وتستسقى فما تسقى

قثم خطأ، لأن قثم هو أخو عبيد الله بن عباب، وقد شارك في فتوح بخارى زمن معاوية بن أبى سفيان، وتوفي بمرو أو سمرقند. أبى بكر النرشخى: تاريخ بخارى ، دارالمعارف، القاهرة، ط٣، د.ت، ص٦٩.

(١) الخزرجى: قرة العيون، مخطوط، محفوظ بمكتبة الأسكندرية ورقة ٦ب.

(٢) عمر كحاله: المرجع السابق، ج١ ص٢٨٣، ويقال أن الذى استخلفة عبيد الله على اليمن هو عمرو بن الثقفي وذلك قبل أن يذهب عبيد الله إلى الكوفة، الخزرجى، قرة العيون، ورقة ٦ب.

(٣) مجدى فتحى: سيرة آل البيت الأطهار، المكتبة التوفيقية، القاهرة، د.ت، ص٣٩.

فلما استيأست رجعت بعبرة واله حرى
تتابع بين ولولة وبين مدامع تترى[١]

ومن شعرها أيضاً في ذلك:-

يا من أحس بابنىّ الذين هما كالدرتين تشظى عنهما الصدف
يا من أحس بابنى الذين هما سمعى وقلبى فقلب اليوم مزدهف
يا من أحسن بابنى الذين هما مخ العظام فمنحى اليوم مختطف[٢]

أما عن أبرز شعراء بني الديل في الجاهلية وصدر الإسلام، فنذكر منهم أنس بن زنيم وقد سبق وأن أوضح الباحث بعض أخباره وأشعاره وهو الذى هجا النبي- صلى الله عليه وسلم- ثم اعتذر له، وقد بقي إلى خلافة بنى أمية وكان من أنصار عبد الله بن الزبير بن العوام، وقد وجه إليه بعض الأشعار يعلمه فيه بإسراف مصعب بن الزبير حيث تزوج امرأتين بألفي ألف درهم، فقال فيها:

أبلغ أمير المؤمنين رسالة من ناصح لك لا يريك خداعاً
بضع الفتاة بألف ألف كامل وتبيت قادات الجيوش جياعا[٣]

---

(١) الأصفهانى: ج١٦ص٢٨٤، بشريموت: شاعرات العرب، المطبعة الوطنية، بيروت، ط١، ١٩٣٤م، ص١٧٨.

(٢) الأغانى: ج١٦٢٩١، بشريموت: شاعرات العرب، ص١٧٨، عمر كحاله: المرجع السابق، ج١ص٢٨٤.

(٣) الأغانى: ج٣ص٣٥٧- ٣٥٨. وقيل بل هذا الشعر لأمه.

ومنهم سارية بن زنيم القائد الشهير الذى سبق الإشارة إلى دوره العسكري، وكان أيضاً شاعراً وله قصائد، وقد ذكر أبو بثينة الصاهلى في إحدى قصائده التي يهجو فيها سارية بن زنيم قائلاً:-

أسارية الذى يهدى إلينا قصائده ولم يعلم حفيلى

إلى آخر القصيدة ، فأجابه سارية بن زنيم قائلاً:-

بلي إني بلوت لديك شعراً قليلاً عند تنبال ذليل
قعود في بيوت واضعات يشوبون النواطل بالثميل
كأنكم تيوس الشرك غذت على أذقانها بشفا قفيل
فإنا يوم أعزار فعلنا بكم فقماء واضحة المثول[1]

ومن شعرائهم أيضاً أبو أناس الديلى من بنى الديل وهو من أشرافهم وعمه سارية بن زنيم[2]، وقد خلط البعض بينه وبين أنس السابق ذكره، وبين أشعارهم، فهناك مصارد تذكر أنه أخو سارية بن زنيم[3]، وأخرى تذكر أنه ابن أخيه[4]، ولعل اللبس بين تلك الآراء يرجع سببها إلى أنس الذى هجا النبي – صلى الله عليه وسلم – قد سمى ابنه باسمه، فيكون

(١) أبو سعيد السكرى: المصدر السابق، ج٢، ص٧٣١، ٧٣٣.
(٢) ابن عبد البر: الإستيعاب ، مكتبة مصر، القاهرة، د.ت، ج٤ص٦.
(٣) ابن الأثير: أسد الغابة، ص٢٨٩- ٢٩٠.
(٤) ابن عبد البر: الإستيعاب، ج٤ص٦.

بذلك انس الأب هو أخو سارية أما الابن فهو عمه سارية، وكان أنس الابن أعور، قال لمصعب بن الزبير يعاتبه:-

تسهل لي ولا تعرض لصرمى أبا عيسى فإن أبا أناس
بنى لي في العفاف وفي المعالي مآثره فلست لها بناس

ويقال أن الآبيات التى قالها أنس التى أرسلها لعبد الله بن الزبير لأنس هذا ويبدو أن هذا هو الصحيح[١].

ومنهم أيضاً أسيد بن أبي إياس، وقد نسب إليه ابن الأثير الشعر الذي قاله أنس بن زنيم في هجاء النبي ثم مدحه بعد ذلك[٢]، ولاشك أن ذلك خلط من ابن الأثير، لأن الصواب أن قائل هذا الشعر هو أنس بن زنيم والذي قال فيها معتذراً للنبى – صلى الله عليه وسلم-:

أانت الذى تهدى معد بأمره بل الله يهديهم وقال لك أشهد
فما حملت من ناقة فوق رحلها أبر وأوفى ذمة من محمد[٣]

ومنهم أيضاً الأخزر بن لعط الديلى وهو القائل فيما كان بين بنى كنانة وخزاعة في الأحداث التى تسببت في فتح مكة كما سبق توضيح ذلك:

---

(١) البلاذرى: ج١١ص١٠٨؛ ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج٢ص٧٢٦.

(٢) أسد الغابة، ج١ص٢٣٦.

(٣) الواقدى: المعازى: ج٢ص٢٣٣، ٢٤٣؛ ابن هشام: ج٤ص٤٤؛ البلاذرى، ج١١ص١٠٨؛ الشامى: سبل الهدى: ج٥ ص٣٩٤.

ألا هل أتى قصوى الأحابيش[١] أننا ... رددنا بنى كعب بأفوق ناصل
حبسناهم في دارة العبد رافع ... وعند بديل محبساً غير طائل[٢]

ومنهم أيضاً أهبان بن لعط بن عروة بن صخر بن يعمر بن نفاثة بن عدي بن الديل، وكان شاعراً وفارساً[٣]، وهو القائل لأبى بثينه الصاهلي:

ألا أبلغ لديك بنى قريم ... مغلغلة يجئ بها الخبير
فردوا لى الموالى ثم حلوا ... مرابعكم إذا مطر الوتير[٤]

أما عن أشهر من أخرجه مجتمع الأحابيش من الشعراء والنحاة والمفسرين واللغويين على الإطلاق فهو أبو الأسود الدؤلي واسمه ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل بن يعمر بن حلس بن نفاثة بن عدى بن الديل[٥]، وقيل اسمه عثمان بن عمرو بن سفيان[٦]، وقيل اسمه عمرو بن سفيان[٧]، وقد رجح البلاذري الرأي الأول وهو الأرجح[٨]، وقد كان أبو الأسود معدوداً في طبقات الناس، وهو في كلها مقدم مأثور عنه في

---

(١) في رواية الواقدى "العشيرة".
(٢) الواقدى: ج٢ص٢٣٠؛ ابن هشام: ج٤ص١٩.
(٣) الآمدى: المؤتلف والمختلف، ص٣٥.
(٤) السكرى: المصدر السابق، ج٢ص٧٢٦؛ الآمدى: ص٣٥.
(٥) ابن حبيب: المؤتلف والمختلف، ص٤٧، البلاذرى: ج١١ص١١٠؛ ابن حزم، ص١٨٥؛ ابن الأثير: اللباب ، دار صاد، بيروت، د.ت، ج١ص٥١٤؛ ابن ماكولا ، الإكمال: ج٣ ص٣٤٧.
(٦) ابن حبيب: المصدر السابق، ص٤٧.
(٧) ابن الأثير: اللباب، ج١ص٥١٤.
(٨) البلاذري:أنساب الأشراف، ج١١ ص١١٠.

جميعها، كان معدوداً في التابعين[١] والفقهاء والمحدثين والشعراء والأشراف والفرسان والأمراء والدهاة والنحويين والحاضري الجواب والشيعة والبخلاء والصلع الأشراف[٢] وكان شاعراً بليغاً له ديوان شعر صنعه أبو سعيد السكرى وهو مطبوع ومتداول.

ومن شعر أبي الأسود:-

أمنت على السر امرء غير حازم ولكنه في النصح غير مريب
أذاع به في الناس حتى كأنه بعلياء نار أوقدت لثقوب[٣]

ومنهم أيضًا أبو غفر الدؤلي، وكان من الذين يحضرون مجالس عبد الملك بن مروان[٤].

ومن بنى جذيمة بن عامر بن عبد مناة عمرو بن كلثوم القائل:-

ألا ليت أن الله أسمع دعوة وأرسل بين الأخشبين مناديا[٥]

---

(١) يقال أنه من الصحابة حيث ولد قبل الهجرة بستة عشر سنه، وشهد مع المسلمون بدراً، ويقال أن أبيه قتل في أحد المشاهد بين المسلمين والمشركين في بدر أو أحد وقد سبق ذكر ذلك. انظر: الجاحظ: البيان والتبيين، ج١ ص٣٢٤، ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج٢، ص٧١٩، الحموى: معجم الأدباء، تحقيق/إحسان عباس، دار الغرب، بيروت، ط١، ١٩٩٣م، ص١٤٦٥، الذهبى: سير أعلام النبلاء، ج٤، ص٨٤.

(٢) أبو سعيد السكرى: ديوان أبو الأسود، تحقيق/ محمد حسن، دار الهلال، بيروت، ط٢، ١٩٩٨م، ص٤٥.

(٤) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٢ص٥٣٦.

(٥) إبراهيم النعانعة: المرجع السابق، ص٢٤٠.

أما عن شعراء بنى الهون والقارة، فمنهم عمرو بن عبد العزى القاري وهو القائل يحرض بني معيص بن عامر بن لؤي على بنى ليث في قتل نوفل بن عمرو في الجاهلية:-

أمعيص بن عامر بن لؤى ... اسمعوا تسمعون أمراً عجابا
تلكم يعمر وكلب بن عوف ... غلقا دون حقنا أبـوابا
عزهم أن حارثاً أفردونا ... وبنى الهون أصبحوا غيابا
فدعوناكم فقالوا ضلالاً ... أيجاب الذى ينادى السرابا[1]

ومن بنى الهون أيضاُ عبد شمس بن قيس وهو القائل:-

أعازبة حلوم بنى أبينا ... كنانة أم هم قوم نيام
فإن يك فيكم كرم وعز ... فقـومكم وإن قلوا كرام
دعونا قارة لا تنفرونا ... فنبتك القرابة والذمام
كما جلّت بنو أسد جذاما ... فبأنت عن مساكنها جذام[2]

وأما بنو المصطلق فكان من أشهر شعرائهم سويد بن عامر المصطلقي وقد بَلَغ النبي- صلى الله عليه وسلم- قول سويد:-

لا تأمنن وإن أمسيت في حـرم ... إن المنايا بجنبي كل إنسان
وأسلك طريقك تمشى غير مختشع ... حتى تلاقي ما يمنى لك المانى

(١) المرزبانى: معجم الشعراء، ص٣٥- ٣٦.
(٢) البلاذرى: ج١ص٧٧.

وكل ذى صاحب يوماً مفارقه وكل زاد وإن ابقيته فأنى
والخير والشر مقرونان في قرن بكل ذاك يأتيك الجديدان

فقال النبي- صلى الله عليه وسلم- لو أدرك هذا الإسلام لأسلم[١].

هؤلاء هم أشهر شعراء الأحابيش في عصري الجاهلية وصدر الإسلام.

دور مسلموا الأحابيش في العلوم الدينية:-

لقد كان لمسلمي الأحابيش إهتماماً كبيراً بالعلوم الدينية وبرز منهم العديد من العلماء في مختلف الفروع، فعل سبيل المثال علم قراءة القرآن، فقد نزل القرآن باللغة العربية بلهجة الكعبين كعب بن لؤى، وكعب بن عمرو بن لحي الخزاعي، وذلك أن دارهم كانت واحدة[٢].

بالإضافة لوجود بعض الكلمات باللهجات العربية الأخرى واللغات الأخرى كالحبشية[٣]، وقد روى الصحابة عن النبي- صلى الله عليه وسلم- قراءته للقرآن بطرقه المختلفة في بعض ألفاظة وكيفيات الحروف في أدائها[٤]، لذا كان من الضرورى أن يهتم المسلمون الأوائل بالقرآن من

---

(١) ابن عبد البر: المصدر السابق، ج٣، ص١٨٨، الفاسى: العقد الثمين، ج٦ ص٦٦.

(٢) ابن عبد البر: الإنباه، ص٩٩.

(٣) هناك العديد من الكلمات القرآن الكريم يرى العلماء أنها حبشية مثل الجبت (يؤمنون بالجبت)"النساء: ٥١"، وتعنى الشيطان بالحبشية، وأواه (إن إبراهيم لأواه حليم)"التوبة: ١١٤"، بمعنى المؤمن بلسان الحبشة وغيرها من الكلمات، السيوطى: رفع شأن الحبشان، ص٣١.

(٤) ابن خلدون: المصدر السابق، ص٥٢٦- ٥٢٧.

حيث تلاوته وتفسيره، وقد كان من المهتمين بعلم القراءة من مسلمي الأحابيش أبو الأسود الدؤلي وابنه أبو حرب بن أبى الأسود، وقد قرأ أبو الأسود على علي وعمر وأُبي بن كعب وابن مسعود وأبى ذر والكبار- رضي الله عنهم- ومن أبي الأسود أخذ عنه ابنه أبو حرب، ويحي بن يعمر بريدة وغيرهم[١].

وكما برع أبو الأسود الدؤلي في علم القراءة برع أيضاً في علم التفسير وفي الفقه كان أيضاً معدوداً في الفقهاء[٢]، وكان من المهتمين بالفقه أيضاً ويتتبعه النحام الكناني من بني مالك بن كنانة وكان من الذين سمع من أبي موسى الأشعري[٣].

أما القضاء والإفتاء، فكان أبو الأسود الدؤلي من الذين نزلوا الإفتاء في البصرة، وكان يقال للمفتي آنذاك القاضي، وقد كان ابن عباس والي البصرة ومفتيها.

---

(١) الذهبى: طبقات القراء، تحقيق/أحمد خان، ط١، ١٩٩٧م، ج١ص٣٦؛ ابن الجزرى: غاية النهاية في طبقات القراء، تحقيق/ برجستر، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ٢٠٠٦، ج١ ص٣١٤.

(٢) الحموى: معجم الأدباء، ص١٤٦٥؛ الذهبى: سير أعلام النبلاء: ج٤ص٨٤.

(٣) الفسوى: المعرفة والتاريخ، ج١ص٢٠٠.

فعندما كان يشخص إلى علي بن أبى طالب كان يستخلف أبا الأسود على قضاء البصرة، فكان هو المفتي والقاضي[١].

أما عن علم الحديث: فعلم الحديث هو العلم الذى يشتمل على نقل أقوال النبي- صلى الله عليه وسلم- وأفعاله وروايتها وضبطها وتحرير ألفاظها[٢].

وقد برز العديد من الأحابيش الذين أسلموا وأبناؤهم في طلب الحديث وروايته، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر:-

عبد الله بن عبد القاري، سمع من أبيه وعمر وطلحة وأبى أيوب[٣]، ومنهم أيضاً عبد الرحمن بن عبد القاري[٤] وقيل عبد الرحمن بن عبد الله القاري يروى عن عمر بن الخطاب- رضى الله عنه، روى عنه عروة بن الزبير وحميد بن عبد الرحمن وغيرهما ، مات سنة ثمان وثمانين وهو ابن ثمان وسبعين سنة[٥]، ومنهم أيضاً عبد الله بن عمرو بن عبد القاري[٦]،

---

(١) وكيع: أخبارالقضاة، تحقيق/سعيد اللحام، عالم الكتب، بيروت، د.ت، ص١٨٣- ١٨٤. وكان مفتو العرب قبل الإسلام في بنى مالك بن كنانة. ابن حبيب: المحبر ، ص١٧٤.

(٢) على عبد الحليم: التعريف بسنه الرسول، دارالتوزيع، القاهرة ، ط١، ١٩٩٤م، ص٢٢.

(٣) البخارى: التاريخ الكبير، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ج٣، ص١٤١؛ الفسوى: ج١ص١٨٣؛ المزى: تهذيب الكمال، ج١٥ص٢٤٨.

(٤) الفسوى: ج١ ص١٨٣.

(٥) البخارى: التاريخ الكبير، ج٣ص٣٠٢؛ ابن الأثير: اللباب،ج٣ص٦.

(٦) المزى: تهذيب الكمال، ج١٥٣٦٣.

والسائب ابن عمير القاري[١]، وعبد الله بن عثمان بن خثيم القاري[٢].
ومنهم عمرو ابن القاري الذي أوصاه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يدفن سعد بن أبي وقاص عندما يتوفى بنحو طريق المدينة، وأشار النبي إلى البقيع حيث دفن سعداً هناك[٣].

ومن بني المصطلق أم المؤمنين جويرية بنت الحارث لها سبعة أحاديث منها حديث عند البخاري في الصيام وحديثان عند مسلم[٤].

ومن بني المصطلق أيضاً عمرو بن الحارث المصطلق أخو جويرية بنت الحارث أم المؤمنين، فكان يعد في الكوفيين[٥].

و يعد عمرو بن الحارث من الثقات[٦].

ومن الرواة من بني المصطلق ايضاً مسلم الخزاعي المصطلقي، الذي روى عنه ابنه عمرو، ويزيد ين عمرو بن مسلم الخزاعي المصطلقي[٧].

---

(١) ابن حجر: الإصابة، ج٥ص٥.
(٢) المزى: تهذيب الكمال، ج٣ص٢٧٩.
(٣) البغوي: معرفة الصحابة ، ص ١٣٢، ١٩٩٤.
(٤) ابن حزم: أسماء الصحابة،تحقيق/مسعد السعدنى، مكتبة الساعى،جدة،د.ت، ص٥٣.
(٥) أبو نعيم: معرفة الصحابة، ص٢٠٠٢.
(١١) العجلي: معرفة الثقات، تحقيق/ عبد العليم عبد العظيم،القاهرة،د.ت، ج١ص١٧٣.
(٧) البغوي: معجم الصحابة، ج٥ ص٣١٢، أبي نعيم: معرفة الصحابة ص ٢٤٨٤.

ومن بنى الدؤل ربيعة بن عباد الديلي، وقد عمر طويلاً، روى عنه ابن المنكدر وأبو الزناد وزيد بن أسلم[١]، ومنهم محجن بن أبي محجن الديلي.

و قد روى عنه ابنه بسر، وزيد بن أسلم[٢].

ومنهم أيضاً نوفل بن معاوية الديلي، وقد سبق الحديث عنه مراراً، روى عنه أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث، وعبد الرحمن بن مطيع وسنان بن أبى سنان الدؤلي[٣]، وكذلك أبو سنان الديلي وهما من الثقات[٤]، وعراك بن مالك[٥]، ولنوفل تسع أحاديث[٦]، ومنهم أيضا أبو الأسود الدؤلي وهو من الثقات[٧].

ومنهم أيضاً عكرمة بن محمد الدؤلي[٨]، وكانت أخته من المهتمات بالحديث والتحقق منه ، فيروى أن أخته قد أرسلته إلى أبي هريرة تسأله عن من قال: "لا إله إلا الله عشر مرات "، فقال له أبو هريرة:" كلمات قالها

---

(١) ابن عبد البر: الاستيعاب، ج١ص٢٤٥؛ ابن الأثير: أسد الغابة، ج٢ص٢٦٤.

(٢) ابن الأثير: السابق، ج٥ص٦٥.

(٣) الغساني: تقييد المهمل، ج١ص١٨٢.

(٤) العجلي: معرفة الثقات ، ج١ص٤٠٦ ، ٤٣٨.

(٥) ابن عبد البر: السابق، ج٣ص٢٣١؛ ابن الأثير: ج٥ص٣٤٩.

(٦) ابن حزم: أسماء الصحابة، ص٤٩.

(٧) العجلي: المصدر السابق، ج١ص٤٨٤.

(٨) البخارى: السابق، ج٤ص٥٠؛ الفسوى: ج١ ص٢٠٠.

أحدكم عشر مرات فهي عدل رقبة فلا تعجزن أن تستكثروا من الرقاب"[١].

وكان منهم أيضاً أبو الأسود الدؤلي، وقد عده ابن خياط في الطبقة الأولى من محدثي البصرة[٢]، وخرج له أحمد بن حنبل العديد من الاحاديث في سنده كقول النبي- صلى الله عليه وسلم- بول الغلام ينضح عليه وبول الجارية يغسل[٣].

و من القارة: سفيان بن عوف القاري، وهو مصري تابعي ثقة[٤].

ومن بنى مالك بن كنانة كانت أم حكيم رميثة بنت الحارث، روت عن عائشة أم المؤمنين[٥].

أما عن علم العربية أو النحو: فكفى للأحابيش فخراً أن كان منهم أبو الأسود الذي أرسى قواعد هذا العلم المهم، فلقد كانت اللغة العربية سليمة من الفساد خالصة من الشوب والإسلام لا يزال في ريعانه واندفاع موجته، والعرب في أمر الأدب على إرث من جاهليتهم يأخذون في سمتها ويتجاذبون على منهاجها، فيسمرون بالأخبار ويتجملون بالأشعار

---

(١) الفسوى: ج١ص٢٠٠.

(٢) ابن خياط: طبقات خليفة، ص١٩٠- ١٩١.

(٣) ابن حنبل: المسند، تحقيق/شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت،ط١، ١٩٩٥م، حديث رقم: ٥٦٣.

(٤) العجلي: المصدر السابق: ج١ص٤١٦.

(٥) البلاذرى: ج١١ ص١٤٦.

لا يرون إلا أن ذلك علم آبائهم وإرث أبنائهم[١]، واستمروا على ذلك في جاهليتهم وإسلامهم في عقد النبي- صلى الله عليه وسلم- حتى أنه بالرغم من لهجات بعض القبائل العربية إلا أن ذلك لم يؤثر على سلامة اللغة، فقد كانت وفود العرب تأتي إلى النبي-صلى الله عليه وسلم- والنبي يخاطبهم على أختلاف شعوبهم وقبائلهم وتباين بطونهم وأفخاذهم وعلى ما في لغاتهم من اختلاف الأوضاع وتفاوت الدلالات في المعانى اللغوية على حين أن الصحابة- رضوان الله عليهم- ومن يفد على النبي- صلى الله عليه وسلم- من وفود العرب الذين لا يوجه إليه الخطاب كانوا يجهلون من ذلك أشياء كثيرة، حتى إن علياً بن أبى طالب- رضى الله عنه- سمع النبي-صلى الله عليه وسلم- يخاطب وفد بنى نهد فقال للنبي- صلى الله عليه وسلم- يا رسول الله نحن بنو أب واحد، ونراك تكلم وفود العرب بما لا نفهم أكثره فكان رسول الله – صلى الله عليه وسلم- يوضح لهم ما يسألونه عن مما يجهلون معناه من تلك الكلمات ولكنهم كانوا يرون هذا الاختلاف فطرياً في العرب فلم يلتفتوا إليه[٢].

لكن لما أخذ الإسلام في الانتشار في ربوع شبه الجزيرة العربية وغيرها وتألفت القلوب اختلطت الأمم بعضها ببعض فكادت العربية أن تتلاشى فدعا ذلك أمير المؤمنين علياً- رضى الله عنه- أن أصّل فيها

(١) مصطفى الرافعي: تاريخ آداب العرب، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٤، ١٩٧٤، ج١ص٣٢٢.

(٢) مصطفى الرافعي: تاريخ آداب العرب، ج١ص٣٢٣.

أصولاً أخذها عنه أبو الأسود الدؤلي وكان يراجعه فيها إلى أن حصل من أصولها ما فيه كفاية[١].

ولقد كان الاهتمام بالعربية يرجع إلى عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب – رضي الله عنه- فقد كتب إلى أبي موسى الأشعري أما بعد، فتفقهوا في الدين، وتعلموا السنة، وتفهموا العربية، وتعلموا طعن الدرية، وأحسنوا عبارة الرؤيا، وليعلم أبو الأسود أهل البصرة الإعراب[٢].

هذا ولقد اختلف العلماء حول الأسباب التي دفعت أبا الأسود إلى وضع علم العربية أو النحو، على العلم أنهم يكادون أن يجمعوا على أن أبا الأسود قد تلقي النحو على يد أمير المؤمنين علي بن أبى طالب- رضي الله عنه- ولعل أهم الأسباب التى قيلت في دفع أبا الأسود لوضع علم النحو قيل أن أبا الأسود دخل يوماً على أمير المؤمنين على فرآه مطرقاً منكراً فقال له أبو الأسود فيم تفكر يا أمير المؤمنين، قال: سمعت ببلدكم لحناً، فأردت أن أصنع كتاباً في أصول العربية، فقلت له: إن فعلت هذا أبقيت فينا هذه اللغة العربية، ثم بعد عدة أيام جاء أبو الأسود إلى الإمام علي فأعطاه الإمام صحيفة فيها:-

---

(١) النويرى السكندرى: الإلمام، تحقيق/ عزير سوريال، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠١٠، ج١ص٤٩- ٥٠.

(٢) القفطى: انباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط١، ١٩٨٦م، ج١ص٥١.

" بسم الله الرحمن الرحيم، الكلام كله اسم وفعل وحرف، فالاسم ما أنبأ عن المسمى ، والفعل ما أنبأ عن حركة المسمى، والحرف ما أنبأ عن معنى ليس باسم ولا فعل".

ثم قال لأبى الأسود: تتبعه، وزد فيه ما وقع لك، وأعلم أن الأشياء ثلاثة، ظاهر، ومضمر، وشئ ليس بظاهر ولا مضمر، وإنما يتفاضل العلماء في معرفة ما ليس بمضمر ولا ظاهر.

قال أبو الأسود: فجمعت أشياء وعرضتها عليه، فكان من ذلك حروف النصب، فذكرت منها: إنّ وأنّ، ولعلّ، وكأنّ، ولم أذكر لكن، فقال: لم تركتها؟ فقلت: لم أحسبها منها، فقال: بلى هى منها، فزدها فيها[1].

ويروى عن أبى الأسود أنه قال: دخلت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب – رضى الله عنه- فأخرج لي رقعة فيها: الكلام كله اسم وفعل وحرف، جاء المعنى. قال: فقلت: ما دعاك إلى هذا ؟ قال: رأيت فساداً في كلام بعض أهلي، فأحببت أن أرسم رسماً يعرف به الصواب من الخطأ، فأخذ أبو الأسود النحو على علي- رضي الله عنه- ولم يظهره لأحد[2].

ثم إن زياداً[3] سمع بشيء مما عند أبى الأسود، ورأى اللحن قد فشا، فقال لأبي الأسود، أظهر ما عندك ليكون للناس إماماً، فامتنع أبو الأسود

---

(1) القفطى: المصدر السابق، ج١ص٣٩.

(2) المصدر السابق، ص٤٠.

(3) زياد بن أبيه: هو زياد بن سميه الذى انتسب إلى أبو سفيان بن حرب.

من ذلك وسأله الإعفاء، حتى سمع أبو الأسود قارئاً يقرأ: (إن الله بريء من المشركين ورسوله)[١] بالكسر فقال: ما ظننت أمر الناس آل إلى هذا، فرجع إلى زياد فقال: أنا أفعل ما أمر به الأمير، فلْيَبْغني كاتباً لقنا يفعل ما أقول، فأتى بكاتب من عبد القيس فلم يرضه، فأتى بكاتب آخر من عبد القيس- على ما يروى- فقال له أبو الأسود: إذا رأيتني قد فتحت فمي بالحرف، فانقط نقطة فوقه على أعلاه، وإن ضممت فمي فانقط نقطة بين يدي الحرف، وإن كسرت فاجعل نقطة من تحت الحرف، وإن سكنت الكلمة بالتنوين فأجعل أمارة ذلك نقطتين، ففعل ذلك، وكان أول ما وضعه لهذا السبب[٢].

ويقال أن أبو الأسود قد جاء إلى زياد بالبصرة، فقال: إني أرى العرب قد خالطت هذه الأعاجم، وقد تغيرت ألسنتها، أفتأذن إلي أن أضع كلاماً يعرفون- أو يقوِّمون- به كلامهم ؟

قال: لا.

---

(١) سورة التوبة: آية ٣، أى بوضع الكسر تحت رسوله، بدلاً من الضم، فيصير المعنى أن الله برئ من المشركين وبرئ من رسوله، بدلاً من أن يكون الله ورسوله برئيان من المشركين.

(٢) السيرافي: أخبار النحويين البصريين، تحقيق/ طه محمد، مطبعة الحلبى، القاهرة، ط١، ١٩٥٥م، ص١٢؛ القفطى: المصدر السابق، ج١ص٤٠.

فجاء رجل إلى زياد فقال: أصلح الله الأمير، توفي أبانا وترك بنوناً. فقال زياد: توفي أبانا وترك بنونا ؟! أدعوا لى أبا الأسود، فلما جاء أبو الأسود، قال له: ضع للناس ما أردت أن تضع لهم[١].

وقيل: إن زياداً بن أبيه قال لأبي الأسود: إن بنىّ يلحنون في القرآن، فلو رسمت لهم رسماً، فنقط المصحف، فقال: إن الظئر والحشم قد أفسدوا ألسنتهم، فلو وضعت لهم كلاماً فوضع العربية[٢].

وهناك سبباً آخر، يقول: أن ابنه لأبي الأسود قالت له: يا أبت ما أشدُ الحر ! في يوم شديد الحر، فقال لها: إذا كانت الصقعاء - أي الشمس- من فوقك والرمضاء من تحتك، فقالت إنما أردت أن الحر شديد، فقال لها: فقولي إذن ما أشد الحر ![٣].

وقيل: إن أبا الأسود دخل إلى منزله فقالت له بعض بناته:ما أحسنُ السماءِ ! قال: أي بنية، نجومها، فقالت: إنى لم أرد أي شيء منها أحسن؟ وإنما تعجبت من حسنها، فقال: إذا قولي: ما أحسنَ السماءَ ! فحينئذ وضع كتاباً[٤].

---

(١) الزبيدى الأندلسي: طبقات النحويين، تحقيق/ محمد أبو الفصل، دار المعارف، ط٢، د.ت، ص٢١؛ الحسن العسكرى: المصون، تحقيق/ عبد السلام هارون، مطبقة حكومة الكويت، ١٩٨٤م، ص١١٨.

(٢) السيرافي: أخبار النحويين، ص٥١.

(٣) الزبيدى الأندلسى: المصدر السابق، ٢١؛ السيرافي: ص١٤؛ القفطى: ج١ ص٥١.

(٤) السيرافي: ص١٤؛ القفطي: ج١ص٥١.

وهناك أسباب أخرى دفعت أبا الأسود لوضع علم النحو الذى سمي بالنحو لأنه وضعه على نحو ما تعلمه من علي بن أبى طالب، فقد سئل أبو الأسود الدؤلي عمن فتح له الطريق إلى وضع علم النحو وأرشده إليه، فقال: تلقيته من علي بن أبي طالب- رحمه الله- وفي حديث آخر، قال: ألقى إلي علي أصولاً احتذيت عليها[١]، فيستفاد من ذلك أن أمير المؤمنين علياً ـرضي الله عنهـ هو أول من تكلم في النحو على الإطلاق، ثم كان أبو الأسود أول من تكلم في النحو بالبصرة [٢].

وعلى الرغم من إجماع أكثر وإن شئت قل كل أهل العلم أن الذي وضع علم العربية (النحو) هو أبو الأسود، إلا أن هناك بعض الباحثين قد شككوا في أن يكون أبو الأسود هو من قام بذلك أمثال علي أكبر دهخدا الذي اعتبر ذلك أسطورة وخرافة[٣] ولا حاجة للرد على هذا الرأي، لأن الإجابة عنه أشهر من الرد على ذلك الادعاء الباطل.

---

(١) الزبيدى الأندلسى: ص٢١.

(٢) ابن حبان: مشاهير علماء الأمصار ، تحقيق/ مجدي منصور الشورى ، دارالكتب العلمية ، بيروت ،ط١ ١٩٩٥،ص١٢٠

(٣) ديوان أبو الأسود، ص٢٠(مقدمة المحقق): ولد الميرزا على أكبر في طهران، وتولي بعض المناصب كرئاسة ديوان وزارة المعارف، ورئاسة تفتيش وزارة العدل ورئاسة مدرسة الحقوق العليا والعلوم السياسية، وغيرها من المناصب، وله بعض الكتب أشهرها "لغة نامة" توفي سنة ١٩٥٥م، باختصار من موقع الإضافة الثقافية، كان النقل يوم السبت ١٩ مايو ٢٠١٠، عصراً. www. Alehkaky. Net

أما عن الأسباب التي سبق عرضها، وقد يكون هناك أسباباً أخرى قد دفعت أبي الأسود إلى وضع علم العربية، فمهما كانت تلك الأسباب، فإنها قد دفعت أبو الأسود في نهاية الأمر لوضع علم النحو، خاصة عقب سماعه للقرائه الخاطئة للآية الثالثة من سورة التوبة، فقام عندئذ بوضع علم العربية، لأنه يقال إن بعد هذه الحادثة كان أول وضع أبى الأسود لعلم العربية لهذا السبب[١].

هذا وقد عرفت الصحيفة التى وضعها أبو الأسود في العربية باسم تعليقة أبى الأسود[٢]، وهناك أدلة تؤيد وجود هذه الصحيفة أو على الأقل نسخ منها، فيذكر ابن النديم أنه رأى عند شخص يدعى ابن أبي بعرة بمدينة الحديثة بالعراق نحو ثلثمائة رطل جلود وصكاك وقرطاس وورق وجلود آدِم فيها تعليقات عن العرب وقصائد مفردات من أشعارهم وشئ من النحو والحكايات والأخبار والأسماء والأنساب، لبعض الصحابة كالحسن والحسين وأبيهما على – رضوان الله عليهم- وبعض التابعين والعلماء، منها أربعة أوراق من ورق الصين تدل على أن النحو وضعه أبو الأسود، ومكتوب على تلك الأوراق هذه فيها كلام في الفاعل والمفعول من أبي الأسود- رحمة الله عليه- بخط يحيى بن يعمر[٣]، وتحت هذا الخط بخط عتيق: هذا خط فلان النحوي، وتحته هذا خط النضر بن

---

(١) القفطى: ج١ص٤٠.

(٢) الرافعي: المرجع السابق، ج١ص٢٨٣.

(٣) من أبرز من أخذ النحو عن أبى الأسود. ابن النديم: الفهرست، ص٦٧.

شميل ويقول ابن النديم إن هذه الأوراق التى رآها عن ابن أبى بعرة الوراق قد فقدت بعد موته[١].

ويذكر القفطي أنه رأى بمصر بأيدي الوراقين جزء فيه أبواب من النحو يجمعون على أنها مقدمة علي بن أبى طالب التى أخذها عنه أبو الأسود الدؤلي[٢].

الأحابيش والأمثال العربية: -

إن كلمة المثل مأخوذة من قولك هذا مثل الشيء، ويقال إن الكلمة مأخوذة من العبرية، ففيها كلمة "مشل" حيث يطلقونها على الحكمة السائرة وعلى الحكاية القصيرة ذات المغزى وعلى الأساطير[٣]، ومن خلال الأمثال نستطيع أن نتفهم ونعرف الكثير من أخلاق وعادات الأمم، ولقد اهتم العربي اهتماما كبيراً بالأمثال كاعتنائهم بالشعر الذي يعتبر ديوانهم الذى يسجلون فيه الكثير من أخبارهم وعاداتهم وتقاليدهم، ولقد اهتم العلماء المسلمون منذ القدم بتدوين الأمثال العربية وذكر المناسبات التى قيلت فيها، فهناك أمثال العرب للضبي، وخرائد الفرائد في الأمثال للخويي، ومجمع الأمثال للميداني وغيرهم الكثير، ولن تتعرض الدراسة لكل الأمثال، بل ستعرض بعض النماذج التى كان لقبائل الأحابيش علاقة بها، ومن ذلك:-

---

(١) ابن النديم: الفهرست، ص ٦٥- ٦٦.

(٢) القفطى: ج١ص٤٠.

(٣) أحمد أمين: المرجع السابق، ص٦٠.

"قد أنصف القارة من راماها"، وقد ذكرت مناسبة هذا المثل فيما سبق، ويقال للقارة وهم أرمى العرب، وكانوا يعرفون برماة الحدق[١]، وهذا شيء متأصل فيهم منذ القدم، فقد سأل هارون الرشيد ذات يوم الأصمعي عن معنى هذه الكلمة، فكان مما أجاب به الأصمعى، أن القارة كانت رماة للتبابعة والملك إذ ذاك أبو حسان، وفي إحدى حروبه ضد السغد، خرج فارس من السغد قد وضع سهمه في كبد قوسه فقال: أين رماة العرب ؟ فقالت العرب قد أنصف القارة من راماها[٢].

وقيل أن رجلين التقيا في مسابقة أحدهما قاري، فقال القاري: إن شئت سابقتك، وإن شئت راميتك، فقال الأخر، قد اخترت المراماة، فقال القاري: قد أنصفتني، وأنشأ يقول: قد أنصف القارة من راماها إنا إذا ما فئة نلقاها نرد أولاها على أخراها.

ثم انتزع له بسهم فشك به فؤاده[٣]، وقيل غير ذلك كما سبق القول.

ومن الأمثال الأخرى التى تتعلق ببعض قبائل الأحابيش "أسرع من نكاح أم خارجة"، وهى عمرة بنت سعد[٤] بن عبد الله بن قذاذ بن ثعلبة من

---

(١) الخويى: فرائد الخرائد في الأمثال، تحقيق/عبد الرزاق حسين، درا النفائس، الأردن، د.ت، ص٤٠٣.

(٢) البغدادى: خزانة الأدب، تحقيق/ عبد السلام هارون، مكتبة الخانجى، القاهرة، ط٤، ١٩٩٧م، ج٤ص٤٥٦.

(٣) الخويى: المصدر السابق، ص ٤٠٣.

(٤) وقيل بنت سحمة بن سعد بن عبد الله.. إلخ. الضبى: أمثال العرب ، ص١١.

بني كهلان بن سبأ كانت ذات جمال وكانت كثيرة الزواج، وقد عرف عنها أنها كانت كثيرة الإنجاب والإسراع فيه، ومن بين الذين انجبتهم سعد أبو المصطلق والحيا الأحابيش وكذلك ليث بن بكر والديل بن بكر[١] الذى منهم الأحابيش خاصة بنو نفاثة.

ومن الأمثال التي قالها أحد الأحابيش وانتشرت "لم أبع دارى ولكن بعت جارى"، وتنسب إلى أبى الأسود الدؤلي، فقد كان له جار كلما أمسى يرمي أبا الأسود بالحجارة ويؤذيه، ولما ضاق أبو الأسود ذرعاً من ذلك باع داره واشترى داراً في هذيل، فقيل له: يا أبا الأسود أبعت دارك ! قال: لم أبع داري ولكن بعت جارى، فأرسلها مثلاً[٢].

ومما قيل من الأمثال في بنى بكر الذين منهم بني الديل الأحابيش "أخوك البكرى لا تأمنه"[٣].

لم تكن الحياة الفكرية وإسهامات أبناء الأحابيش مقتصرة على ما سبق ذكره، بل كان منهم الفصحاء[٤] والكتاب كأبي الأسود الدؤلي[٥].

---

(١) الضبى: أمثال العرب، ص٧؛ البلاذرى: ج١١ص٨٤.

(٢) الأصبهانى: الأغانى، ج١٢ص٣٦٩.

(٣) أبو جعفر البلنسى: تذكرة الألباب بأصول الأنساب، ص٧٥.

(٤) ابن حبيب: المحبر، ص٢٤٥.

(٥) الأصفهانى: ج١٢ص٣٥٠.

كما كان هناك أندية يلتقون فيها قد تكون كأندية العصر الحديث يتحاورون ويتسامرون فيها دار أم أنمار القارية، وكانت برزة من النساء، كان رجال قريش يجلسون بفنائها يتحدثون وزعم البعض أن النبي – صلى الله عليه وسلم- كان يجلس في ذلك المجلس ويتحدث بفنائها[1].

هذه هى أهم ملامح الحياة الفكرية للأحابيش في الجاهلية وصدر الإسلام.

(1) الأزرقي: المصدر السابق، ج٢ص٦٥٥.

obeikandl.com

الفصل الثالث

النواحي الاجتماعية للأحابيش

" بني الحارث بن عبد مناة، كانوا أعز بني كنانة وأمنعهم، وأجودهم، وأنفعهم "

(دَغْفَل لمعاوية بن أبي سفيان)

الحياة الاجتماعية للأحابيش:-

لم تذكر أي من المصادر أو المراجع التي تحدثت عن الأحابيش شيئاً عن ملامح حياتهم الاجتماعية سواء ما يخص عناصر السكان أو مساكنهم أو ملامح حياتهم اليومية إلى غير ذلك من الأشياء التى تخص المجتمع.

وبالرغم من ذلك فإنه ليس من العسير تكوين فكرة عامة عن الحياة الاجتماعية للأحابيش من خلال الاستقراء المتأني للمصادر التي أشارت إليهم، وقد ذكرت بعض تلك المصادر على سبيل المثال بعض الأماكن التى كان يسكنها قبائل وعشائر الأحابيش بدون قصد أو قصد، فمثلاً عند حديث كتاب السيرة عن غزوة بنى المصطلق يقولون إن النبي قد أغار عليهم وهم عند ماء لهم يسمى المريسيع[1]، إلى غير ذلك من الأحداث

---

(1) ابن هشام: ج٣ص١٨٣.

ومثل هذه العبارات نستطيع أن نكون فكرة عامة عن مجتمع الأحابيش وعلى كل حال سوف يعرض الباحث صورة واضحة لمجتمع الأحابيش بماله وما عليه من سلبيات وإيجابيات.

وعند الحديث عن الحياة الاجتماعية لأي مجتمع كان، فإن أول شيء يتم الحديث عنه هو عناصر السكان، فالنسبة للأحابيش، كان الأحابيش عرباً كما سبق توضيح ذلك في الصفحات السابقة، لكن هناك نقطة يجب توضيحها عن تقسيم القبائل العربية، وذلك هو اعتقاد البعض أن العرب قبل الإسلام وفترة البعثة كانوا قرشيين لكن هذا خطأ كبير، واعتقاد خاطئ، فالعرب في الفترة ومسرح الأحداث التي بصدد الحديث عنهما كان غالبيتهم من نسل عدنان الذى يرجع أصله إلى إسماعيل بن إبراهيم الخليل والأبناء ما بين عدنان إلى إسماعيل مختلف في اسمهم وعدتهم لذى كان النبي- صلى الله عليه وسلم- إذا انتهى في النسب إلى معد بن عدنان أمسك ثم قال: "كذب النسابون"[1]، ومن نسل عدنان خرجت أكثر القبائل العربية العدنانية التى استوطنت معظم أراضى الحجاز، ثم لحق بهم بعض القبائل العربية اليمنية كخزاعة التى منها الحيا والمصطلق الأحابيش، وبعض أبناء الأمم الأخرى كاليهود الذين نزح كثير منهم إلى المدينة قبل البعثة.

---

(1) ابن الكلبى: جمهرة النسب، ص١٧.

وما يهمنا من نسل عدنان الآن هو خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر ابن نزار بن سعد بن عدنان[١]، فمن خزيمة هذا كان الهون بن خزيمة الذى منه أحد قبائل الأحابيش، وكنانة الذى أنجب النضر ومنه خرج فهر بن مالك ابن النضر بن كنانة وإليه جماع قريش[٢]، ومن كنانة أيضاً عبد مناة الذى كان من نسله بنى الحارث وبنى الديل بن بكر الأحابيش، ومالك بن كنانة، هذا بخلاف خزاعة من الأزد، أما قريش فقد اختلف في سبب تسميته بذلك وكذلك اختلف في الشخص الذى سمى قريشاً، فقيل إن فهراً بن مالك هو قريش[٣] ولا يكون من ولد فهر قريش، ولا يكون قرشي إلا منهم ولا من ولد فهر أحد إلا قرشي[٤]، وقيل أن النضر بن كنانة هو قريش[٥]، وقيل إن قصياً هو أول من سمى بالقرشي[٦]، وقيل إن قريشاً سميت بهذا الاسم نسبة إلى قريش بن الحارث[٧] بن مخلد بن النضر بن كنانة، وكان دليل بنى النضر وصاحب ميرتهم فكانت العرب تقول جاءت عير قريش[٨].

---

(١) ابن حزم: المصدر السابق، ص١١.

(٢) ابن الكلبى: المرجع السابق، ص٢١. فليس قرشى إلا من ولد فهر وهم قريش ولا قريش غيرهم. ابن حزم: ص١٢.

(٣) الزبيرى: المرجع السابق، ص١٢.

(٤) ابن حزم: ص١٢؛ ابن كثير: ج٢ص٢٠٤.

(٥) ابن عبد البر، الانباه، ص٦٨؛ حسين مؤنس: تاريخ قريش، ص٧١.

(٦) ابن عبد البر: المصدر السابق، ص٦٨- ٦٩.

(٧) ويقال اسمه قريش بن بدر بن يخلد بن النضر. الزبيرى: ص١٢.

(٨) ابن عبد البر: ص٦٨؛ عواطف أديب سلامة: ص٣٩.

أما عد سبب التسمية فقيل إن قريشاً سميت بذلك لتجمعهم بمكة حول الحرم، والتجمع بمعنى التقريش[١].

وقيل إن النضر سمي القرشي لأنه جاء ذات يوم في ثوب إلى قومه، فقالوا جاء كأنه جمل قرش، والقرش الشديد[٢].

وقيل إن قريشاً سميت قريشاً لأنهم أصحاب تجارات وكسب وجمع، يقال لفلان يقرش لعياله أي يكسب لهم ويجمع، ويذكر البلاذرى أنه التقى في سنة إحدى وثلاثين ومائتين أعرابياً من كنانة فسألة عن حمار رآه معه فقال له الأعرابي: هو لي أقرش عليه قوت العيال أى أجمعه عليه"[٣]، وقيل أن النصر كان يقرش أو يبحث ويفتش عن حاجة الناس ذوى الفاقة فيقضيها لهم[٤]، وقيل إن قريشاً سميت بذلك لأنها تجمعت بعد تفرقها والتجمع يعنى التقرش[٥].

وقيل سميت قريش قريشاً لدابة تكون في البحر يقال لها القرش لا تمر بشئ من الغث والسمين إلا أكله، فسميت قريش تصغيرا للقرش، وقال الشاعر:

---

(١) ابن عبد البر: ص٦٨.

(٢) البلاذرى: ج١١، ص٨١؛ ابن عبد البر: ص٦٨.

(٣) البلاذرى: المصدر السابق، ج١١ص٨١.

(٤) عواطف أديب: المصدر السابق، ص٣٩- ٤٠.

(٥) خضير الجميلي: المصدر السابق، ص٤٠.

وقريش هي التي تسكن البحر بها سميت قريش قريشاً[١]

هذه هى أهم الأسباب التى من أجلها قيل أن قريش تسميت بقريشاً ولن يقف الباحث كثيراً أمام تحليل هذه الأسباب ونقدها، لأن هذا قد تعرض له بعض المؤرخين والباحثين ويمكن الرجوع إليهم لمن يريد ذلك[٢]، ولكن من المحتمل أن اسم قريش يرجع إلى قبل عصر قصي بن كلاب، فقد عُثر على نقش في حضرموت ينسب إلى الملك ايلعز يليط[٣] ذكر فيه بعض الوفود إلى الملك وكان من ضمن الوفود أو حاشية الملك "عشر نساء قرشيات"[٤]، مما يدل على قدم تسمية قريش بهذا الاسم.

ولقد كانت قريش منقسمة قبل قدوم قصي إلى قسمين، القسم الأول هم قريش الظواهر وسبق توضيح ذلك، والثاني قريش البطاح وسبق توضيح ذلك أيضاً، وتسمى قريش البطاح بالضب للزومها الحرم[٥].

أما عن الأحابيش فكانوا كما ذكرنا من قبل أنهم عرب، وكانوا ذوي مكانة رفيعة بين القبائل العربية الأخرى، فعلى سبيل المثال كان بنو

---

(١) ابن كثير: ج٢ص٢٠٥.

(٢) مثل البداية والنهاية لأبن كثير، تاريخ قريش لحسين مؤنس، وقبيلة قريش لخضر الجميل، وقبيلة قريش لعواطف أديب سلامة.

(٣) حكم حضرموت في القرن ٣م.

(٤) أحمد أمين سليم، المرجع السابق، ص ، عبد العزيز صالح، المصدر السابق، ص١٧٨؛ محمد عبد القادر بافقية: مختارات من النقوش اليمنية القديمة، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ١٩٨٥م، ص٣٢٥- ٣٢٦.

(٥) البلاذرى: ج١ص٣٩.

الحارث ابن عبد مناة من أعز أبناء بنى كنانة في المكانة[١]، ولمكانة وفضل قبائل الأحابيش تسابق بطون قريش المختلفة إلى مصاهرتهم والزواج منهم – وسيوضح الباحث ذلك في الصفحات التالية-.

أما ما ادعاه أحد الباحثين من أن بعض قبائل وعشائر الأحابيش ليسوا من بنى كنانة، وأنهم دخلاء كعضل والقارة والهون[٢] فإن ذلك لا أساس له من الصحة ولم يذكره أي مصدر.

ولقد كان رجال الأحابيش يعشقون الحرية ويأبون الوقوع في الأسر، ولعل من الأمثلة على ذلك هو استماتة أحد بنى جذيمة يوم الغميصاء في الدفاع عن النسوة اللائى كن معه أثناء إغارة خالد بن الوليد عليهم[٣].

وكان للأحابيش موالي مثل آل زاروية موالي القارة[٤]، وكذلك كان لهم عبيد يقومون على خدمة سادتهم مثلهم مثل القبائل الأخرى كقرين لكن ما يلفت النظر ويستحق الإشارة إليه في مجتمع الأحابيش هو وضع المرأة، فلقد كان لنساء الأحابيش مكانة كبيرة في المجتمع فكانت محاربة كعمرة العلقمية، التى رفعت اللواء الخاص بالمشركين يوم أحد بعد أن كان صريعاً لا يجرؤ أحد على التقدم لحمله، فتقدمت هي وحملته مما

---

(١) القالي: المصدر السابق، ج٣ص٢٥.

(٢) حسين مؤنس: المرجع السابق، ص٥٧.

(٣) ابن سعد: ج٢، ص٢١٣- ٢١٤.

(٤) الفاسى: العقد الثمين، ج١ص٥١.

جعل المشركين يعودون للقتال بعد أن فروا، وقد سجل الصحابى حسان بن ثابت ذلك في شعره:

عمرة تحمل اللواء وصدت عن صدور القنا بنو مخزوم[١]

ولم يقتصر دور عمرة على ذلك بل حملت السيف وقاتلت به أيضاً[٢].

ولقد كان للمرأة أيضاً دوراً سياسياً كبيراً في مجتمع الأحابيش وكانت تشارك في عقد الأحلاف مثل ربطة بنت عبد مناف زوجة معيط بن عوف من بنى الحارث بن عبد مناة التى كان لها دور في جر حلف الأحابيش[٣] كما ظهر فضل بعض نساء الأحابيش مثل السيدة جويرية بنت الحارث المصطلقية التى لأجلها وأكراماً لها عتق كل أسير من أسرى بنى المصطلق[٤].

كما كان لنساء الأحابيش مواقف مشهودة في الأحداث التى شهدها المسلمون في صدر الإسلام، فعندما أغار بسر بن أبى أرطأه على اليمن وقتل ما قتل، خرجت أم حكيم جامعة النساء منددين بما فعله بسر خاصة بعد أن قتل عبد الله، وعبد الرحمن ابني عبيد الله بن عباس وأمهما أم

(١) البلاذرى: المصدر السابق، ج١١ص١٣٧.

(٢) الواقدى: المغازى، ج١ص٢٢٩.

(٣) الزبيرى: المصدر السابق، ص١٥.

(٤) ابن سلام: الأموال، ص١٣٠؛ ابن زنجوية: الأموال، تحقيق/ شاكر ذيب، مركز الملك فيصل للبحوث، السعودية، د.ت، ص٣١٩.

حكيم، فذبحهما[١]. وكانت أم حكيم من شاعرات العرب، كما سبق ذكر ذلك، وكان هناك تاجرات كأم أنمار القارية[٢].

وجدير بالذكر أن مجتمع الأحابيش لم يكن من ضمن القبائل التى كانت تقوم بعادة وأد البنات، والوأد هو دفن البنت حية، والوأد كلمة تدل على إثقال شيء بشيء، وقيل للموءودة موءودة لأنها تدفن حية تثقل بالتراب الذى يعلوها[٣]، وكان سبب هذه الفعلة هو خشية الفقر[٤]، قال تعالي: ﴿ وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ﴾[٥].

وهناك أسباب أخرى حملت من يقوم بهذا الفعل على فعله خشية أن تقع البنت في السبى اثناء الحروب، فينتهك شرفها[٦]، وكذلك كثرة المجاعات التى كان يتعرض لها العديد من القبائل لقلة سقوط الأمطار[٧] فكانوا يدفنون البنت حية كراهية أن تأكل من طعامهم[٨].

---

(١) عمر كحاله: المرجع السابق، ج١ص٢٨٣.

(٢) الفاكهى: ج٣ ص٣١٧.

(٣) ابن فارس: السابق، ص٩٤٥.

(٤) ابن حبيب: المنمق، ص٣٣٦.

(٥) سورة الإسراء: آية ٣١.

(٦) على إبراهيم حسن: المرجع السابق، ص٥٠٨.

(٧) على إبراهيم: ص ٥٠٨.

(٨) محمد الخضرى: الدولة الأموية، ص٢٥٧.

كما كان بعض البنات بهن صفات مرضية يتشائم منها كأن تكون سوداء أو برصاء أو كسحاء[١] فكانت تمثل عبئاً على أهلها أثناء الترحال.

أما عن سبب ظهور هذه العادة، فقيل أن أول من ابتدعها قيس بن عاصم التميمى[٢]، وسبب ذلك أن بنى تميم قد منعت الإتاوة التي كانت تدفعها للنعمان بن المنذر، فجرد إليهم النعمان كتيبته الدوسر بقيادة أخيه الريان فاستاق نعم بنى تميم وسبى ذراريهم، فوفدت وفود تميم على النعمان بن المنذر وكلموه في الذراري، فحكم النعمان بأن يجعل الخيار في ذلك إلى النساء فأي امرأة اختارت زوجها ردت عليه، فاختلفن في الاختيار وكان فيهن بنت لقيس بن عاصم، فاختارت سابيها على زوجها فنذر قيس بن عاصم أن يدس كل بنت تولد له في التراب فوأد بضع عشرة بنتاً[٣]، وقد ذكرت إحدى الروايات أن قيس قال للنبى- صلى الله عليه وسلم- إنى وأدت اثنى عشر بنتاً أو ثلاث عشر بنتاً، فقال له النبي- صلى الله عليه وسلم- اعتق عن كل واحدة منهن نسمة[٤].

---

(١) هدى الزويد: التطور التاريخى للاسرة في الحجاز، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، ١٤٢٦هـ، ص١٤٨.

(٢) أحد أمراء العرب وعقلائهم والموصوفين بالحلم والشجاعة، وفد على النبي- صلى الله عليه وسلم، في وفد بنى تميم سنة ٩هـ فأسلم، فلما رآه النبي- صلى الله عليه وسلم- قال هذا سيد أهل الوبر، توفي بالبصرة نحو ٢٠هـ/٦٤٠م، ابن الأثير: أسد الغابة، ج٤، ص٤١٢، الزركلى: الإعلام، ج٥، ص٢٠٦.

(٣) حمزة الأصفهانى: الدرة الفاخرة، ج١ص٢٧٩؛ الميدانى: ج١، ص٥٣١.

(٤) ابن الأثير: أسد الغابة، ج٤ص٤١٢.

فبفعل قيس هذا كان أول من وأد البنات[١].

وتذكر أحد الباحثات أن قيساً بن عاصم ليس أول من اتبع هذه العادة بل أنه هو قد أحياها بعد أن أوشكت على الاندثار[٢].

ويميل الباحث مع رأي الباحثة، خاصة أن قيساً بن عاصم كان قريب العهد بالإسلام، وانتشار مثل هذه العادة يستغرق وقتا طويلا، كما أن حمزة الأصفهاني والميداني ذكرا أن قيساً بن عاصم أحيا هذه السنة[٣]، أي الوأد ولم يقولا ابتدعها مما يدل على أنها كانت موجودة قبل ذلك واندثرت أو أوشكت على الاندثار، وأما قول ابن بكار من أن قيساً بن عاصم أول من وأد[٤] فيكون أول من مارس هذه العادة في بني تميم وليس أول من فعلها على الإطلاق، وهناك نقش عثر عليه في مدينة مطرة بجنوب غرب الجزيرة العربية يرجع إلى القرن الثاني قبل الميلاد ينهى فيه عن وأد بنات مدينة مطرة، فنص النقش يقول " لا يحق شرعاً وأد بنات المدينة من قبل أفراد الشعب شعب مدينة مطرة "[٥].

---

(١) ابن بكار: الأخبار الموفقيات، تحقيق/ سامى مكى، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٨م، ص٥٠٣.

(٢) هدى الزويد: التطور التاريخى للأسرة في الحجاز، ص١٤٤.

(٣) حمزة الأصفهانى: السابق، ج١ص٢٧٩؛ الميدانى: السابق، ج١ص٥٣١.

(٤) الأخبار الموفقيات: ص ٥٠٣.

(٥) أسمهان الجرو: التراث العربي ، مقال بمجلة الإكليل ، اليمن ، العددان٢٩-٣٠ يناير ومارس ٢٠٠٦م ، ص٤٠؛ نورة النعيم: التشريعات في جنوب غرب الجزيرة العربية حتى نهاية دولة حمير، الرياض ، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠م ، ص٢١٦.

و يستفاد من نص هذا النقش أن عادة وأد البنات لم تنشأ في بلاد الحجاز وإنما هي عادة غريبة ومستوردة من خارج الحجاز، وأقدم مما هو متعارف عليه من حيث النشأة.

وجدير بالذكر أن عادة قتل الأبناء لم يكن مقتصراً على البنات، بل كان منهم من يئد الولد والبنت على السواء خشية الفقر(١)، فقد جاء رجل إلى النبي- صلى الله عليه وسلم- حين توفي ابنه إبراهيم وعيناه تدمعان عليه، فقال له "يا نبي الله تبكى على هذا السخل والذى بعثك بالحق لقد دفنت اثنى عشر ولداً في الجاهلية كلهم أسف منه، كلهم أدسهم في التراب أحياء(٢).

كما أن كبيرة بنت أبى سفيان قالت للرسول- صلى الله عليه وسلم- وهى تبايعه "يا رسول الله إنى وأدت أربع بنين لى في الجاهلية، فقال لها النبي- صلى الله عليه وسلم- "اعتقي أربع رقاب"(٣).

وفي تفسير قوله تعالي: ﴿ولا تقتلوا أولادكم من إملاق﴾(٤) يقول أى أن هناك من كان يقتل أولادهم كما سولت لهم الشياطين ذلك، فكانوا

(١) محمد إسماعيل المقدم: المرجع السابق، ص٦٤.

(٢) الطبرانى: المعجم الكبير، تحقيق/حمدى عبد المجيد، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، د.ت، ج٨ ص٢٧٤؛ هدى الزويد: المرجع السابق، ص١٤٦.

(٣) ابن حجر: الإصابة، ج٨ص١٧٦.

(٤) سورة الأنعام: آية ١٥١.

يئدون البنات خشية العار، وربما قتلوا بعض الذكور خيفة الافتقار[١]، ولاشك أن ذلك من الذنوب العظمى فعن عبد الله بن مسعود أنه قال: قلت يا رسول الله- صلى الله عليه وسلم- أى الذنب أعظم؟ قال: أن تجعل لله نداً، وهو خلقك، قلت: ثم أى؟ قال أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك. قلت ثم أي؟ قال: "أن تزنى بحليلة جارك"[٢].

وهناك بعض الأدلة الأخرى التى تؤكد قيام بعض العرب بقتل أبنائهم، فقد يكون السبب هو الفقر، كما نص على ذلك القرآن، فقد همت هند بنت معاوية ابن الحارث بن بكر بن حبيب، وكانت جارية لهمام بن مرة بن ذهل بن شيبان[٣] الذى قاد القوم في حرب البسوس[٤] الشهيرة، أن تدق عنق ابنها الوليد ناشرة بن أغواث، فلما سمعها همام تأمر النساء بالقيام بقتل ابنها قال همام: ويحك لا تفعلي، قالت: وما يعيشة ؟ قال همام: أمَة تعيُشه، ولقحْه، وجمل ذلول، قالت: بلي فأعطاها إياها[٥] فهذه القصة توضح أن الفقر كان دافعاً رئيسياً في بعض حالات الوأد. وقد يكون قتل الأبناء لأجل النذر، كما نذر عبد المطلب أن يذبح أحد أبنائه إن أنجب عشراً يعينوه، فوقع الاختيار على عبد الله والد النبي- صلى الله عليه

---

(١) ابن كثير: التفسير، ج٣ص٣٦١.

(٢) البخارى: حديث رقم ٤٤٧٧؛ ابن كثير: التفسير، ج٣ص٣٦١، ج٥ص٧٢؛ ابن حجر: فتح البارى، ج٨ ص١٦٣.

(٣) ابن حبيب: أسماء المغتالين، ص٥٠.

(٤) ابن حبيب: المحبر، ص٢٦٢.

(٥) ابن حبيب: أسماء المغتالين، ص٥٠.

وسلم- وباقى القصة معروفة، وقد يكون سبب قتل الأبناء لرؤيا في المنام، كما في قصة الخليل وهمّه بذبح ابنه إسماعيل لو لا أن الله افتداه بذبح عظيم.

أما عن أماكن انتشار هذه العادة، فقيل أنها كانت في قبائل العرب قاطبة[١]، وقيل كانت في تميم وقيس وهذيل وأسد وبكر بن وائل وقريش وتغلب وثقيف وخزاعة وجعفى وكندة[٢].

ويذكر الجاحظ أن قريشاً لم تكن من القبائل التى كانت تئد البنات لأنهم كانوا حُمس[٣]، بالطبع كان الأحابيش من بين القبائل التى لم تمارس هذه العادة لأنهم حُمس أيضاً، كما لم تذكر أى من المصدر اسم قبيلة من قبائل الأحابيش خمس الذين قاموا بالوأد، كما أن الأحابيش لم يكونوا ضمن الذين كانوا يقتلون أبناءهم خاصة البنين لأن الأحابيش كانوا في حاجة إلى كل ولد لتقوية حلفهم وإكثاره.

أما عن قول الجاحظ، من أن قريشاً لم تكن تئد البنات، فيرى الباحث أن ليس كل قريش امتنعت عن ذلك ، بل كان هناك من قام بوأد بناته، فيروى أن عمر بن الخطاب- رضى الله عنه- قد وأد إحدى بناته في الجاهلية[٤].

---

(١) حمزة الأصفهانى: ج١، ص٢٧٩؛ الميدانى: ج١ص٥٣١.

(٢) هدى الزويد: المرجع السابق، ص١٤١- ١٤٢.

(٣) الجاحظ: الرسائل، تحقيق / عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، ط١، ١٩٧٩م. ج٣ص٤٧.

(٤) محمد إسماعيل المقدم: المرجع السابق، ص٦٥.

وعلى الرغم من وجود هذه العادة الذميمة في المجتمع العربي قبل الإسلام إلا أن هناك من أبناء القبائل التى كانت تقوم بهذه العادة، لا يقومون بها بل كان هناك من العرب من كان يحيى الموءودة كزيد بن عمرو بن نفيل، فكان يقول للرجل إذا أراد أن يقتل ابنته لا تقتلها، ادفعها إلىّ أكفلها فإذا ترعرعت، فإن شئت فخذها وإن شئت فادفعها[١].

وكان صعصعة بن ناجية جد الفرزدق الشاعر الشهير يحيى المؤودة أيضاً، فقد أحيى في الجاهلية ثلاثمائة وستين موءودة وقيل أربعمائة وقيل ستاً وتسعين موءودة[٢] اشترى كل منهن بجمل وناقتين عشراوين، وقد تفاخر جرير والفرزدق ذات يوم عند الخليفة سليمان بن عبد الملك، فقال الفرزدق أنا ابن محيى الموتى، يقصد بذلك فداء جده صعصعة للموءودات [٣].

ولذا كان من الضرورى أن يقوم الإسلام بالقضاء على هذه الفعله الشنيعة، وذكرت في القرآن الكريم هذه الفعلة قال تعالى: -

﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (٨) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ (٩) ﴾[٤].

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ج٢ص٢٤٢.

(٢) ابن كثير: المصدر السابق، ج٨ص٦٠.

(٣) الأبشيهي: المستطرف، ص٣٦٨؛ السيد داود: محاضرات في تاريخ الدولة العربي، ص١٦.

(٤) سورة التكوير: آية ٨: ٩.

وقوله تعالي: ﴿قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم﴾[١].

وقوله تعالي: ﴿وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم، يتوارى من القوم من سوء ما بشر به، أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون﴾[٢]. لذا كان أمر الحق سبحانه وتعالي بعدم قتل الأبناء ولا النفس التي حرم الله إلا بالحق.

مواطن سكن الأحابيش:

لم تكن قبائل الأحابيش سواء في الجاهلية أو صدر الإسلام تقيم في منطقة واحدة، بل تنوعت مساكنهم وكثرت، فكان للقبيلة الواحدة أكثر من منطقة تقيم فيها إلا أنّ أكثر المناطق التى استوطنتها قبائل الأحابيش كانت في منطقة تهامة، ولم يكن استيطان الأحابيش أو بعض من قبائلهم في تلك المنطقة بين يوم وليلة، بل كان يقيم أجدادهم كنانة وخزيمة في تلك المنطقة، وكذلك نزل بجوارهم وبعض المناطق الأخرى نزلت خزاعة التى منها بنى المصطلق والحيا الأحابيش.

فقد نزلت كنانة بن خزيمة بن مدركة تهامة[٣]، كما أقامت قبائل مدركة ابن إلياس بن نصر الذين منهم الهون بن خزيمة الأحابيش بتهامة أيضاً وما

(١) سورة الأنعام: آية ١٤٠.

(٢) سورة النحل: آية ٥٩.

(٣) البكرى: معجم ما استعجم، ج١ص٦١.

والاها من البلاد، فصاروا بناحية عرفات وعرنة وبطن نعمان ورجيل وكبكب[١] والبوباة[٢]، كما نزلت خزيمة بن مدركة أسفل من هذيل بن مدركة، وكانت لهذيل جبال من جبال السراة، وصدور أوديتها وشعابها الغربية، وقد استطالت خزيمة بن مدركة في تلك التهائم إلى أسياف البحر، فسالت عليهم الأودية التى هذيل في صدورها وأعاليها وشعاب جبال السراة التى هذيل سكانها[٣]، وفي أثناء ولاية خزاعة على مكة تشعبت بطون كنانة ومن مضر كلها وصاروا جرماً وبيوتات متفرقين في بعض بطن قومهم من بنى كنانة، وكلهم إذ ذاك أحياء حلول بظواهرها، وصارت قريش على فرقتين: قريش البطاح وقريش الظواهر، وكانت خزاعة بادية لكنانة، ثم صار بنو كنانة لقريش، ثم صارت قريش الظواهر بادية لقريش البطاح، وقريش الظواهر من كان على أقل من مرحلة، ومن الضواحي ما كان على أكثر من ذلك، وصار من سوى قريش وكنانة من قبائل مضر في الضواحى أحياء بادية وظعونا ناجعة من بطون قيس وخندف من أشجع وعبس وفزارة ومرة وسليم وسعد بن بكر وعامر بن صعصعة وثقيف، ومن تميم والرباب، وضبعى بنى أسد، وهذيل، والقارة وغير هؤلاء من البطون الصغار[٤].

---

(١) كبكب: هو الجبل الأحمر الذى تجعله خلف ظهرك إذا وقفت مع الإمام بعرفات، البكرى، ج٤ص٧.

(٢) البوباة: عقبة رمل كئود على طريق من أنجد من حجاج اليمن البكرى، ج١ ص٢٥٨.

(٣) البكرى: المصدر السابق، ج١ص٧٩.

(٤) ابن خلدون: العبر، ج٢ص٣٩٨، ٣٩٩.

وكانت القبائل كلها ما عدا خزاعة لا تقيم بمكة، حتى أن خزاعة نفسها كانت لا تقيم إلا في الحل، أما منطقة الحرم فلم يكن فيها أى بناء ولا يسكنها أحد، فكان الناس يحجون ثم يتفرقون فتبقى مكة خالية ليس بها أحد[١] ولعل السبب في ذلك أن خزاعة والجراهمة ولاة البيت قبلهم لم يريدوا أن يكون إلى جوار بيت الله بيت غيره[٢]، وظل الأمر على هذا الحال حتى جاء قصي واستولى على أمر مكة والبيت فجمع قومة من قريش من منازلهم إلى مكة[٣] بعد أن كانوا متفرقين في الشعاب والأودية المحيطة والمجاورة لمكة.

ولما استقر الأمر لقصي قام بقطع مكة رباعاً له ولقومه من قريش ثم اختط قومه من بعده بمكة رباعاً لأنفسهم وحلفائهم، فكانوا يحوذونها ويبنونها ويبيعونها ويشترونها[٤]، ولقد اختلفت الأسباب التى جعلت أبناء القبائل العربية المختلفة تفد إلى مكة وتقيم بها، فهناك من جاء ليحتمي بالكعبة لحرمتها وقداستها لجناية أو جريرة مطلوب بها، ومنهم من جاء لكسب الرزق، سواء بالتجارة أو كأدلاء للقوافل التجارية[٥]، وأدلاء

(١) البكرى: المصدر السابق، ج١ص٨٠.

(٢) محمد هيكل: المرجع السابق، ص١١١.

(٣) الأزرقي: المصدر السابق، ج١ص١٢٩.

(٤) الفاكهى: المصدر السابق، ج٣ص٢٦٠.

(٥) خضير الجميلى: المرجع السابق، ص٣٦.

شخصيين مثل استئجار النبي- صلى الله عليه وسلم- أثناء هجرته برجل من بنى الدئل من بنى عبد بن عدى[١] وهو عبد الله بن أريقط[٢].

هذا ولقد كان لقبائل الأحابيش منازل وبيوت كثيرة في تهامة وغيرها، وكان من تلك البيوت أعز البيوت في تهامة مثل بيت عويف بن الأضبط الديلى الذى كان بيته أعز بيت في تهامة[٣].

ومن الأماكن التي نزلها الأحابيش على مختلف قبائلهم: أحليل وهو وادي تهامي لبني نفاثة[٤] والأطواء ماء لبنى عبد بن عدي بن الديل[٥].

تضارع وتضرع: جبلان لبنى الديل[٦].

التلاعة: وادى صغير يقع جنوب مكة على قرابة ٦٠ كيلو متر[٧] وكان به ديار لبني نفاثة[٨].

دفاق: موضع قرب مكة كان يقيم بأسفله بني نفاثة[٩].

---

(١) الزهرى: المصدر السابق، ص١٠١.

(٢) ابن سعد: ج١ص٣٢٢.

(٣) البلاذرى: ج١١ص١٠٩.

(٤) الحموى: معجم البلدان، ج١ص١٠١.

(٥) أبى سعيد السكرى: شرح أشعار الهذليين، ج١ص٣١١.

(٦) الزمخشرى: الجبال والامكنة والمياه، مطبعة بريل ١٨٥٥م، ص١٠١.

(٧) البلاذرى: معجم المعالم الجغرافية، ص٦٣.

(٨) الأصفهانى: الأغانى، ج٢١ص١٧٧.

(٩) الحموى: ج٤ص٣٠٢، ج٦ص٢٧٩.

رخمة: ماء بتهامة لبنى الديل[١]، وهو بجبل يسمى طفيل[٢].

ظراء: جبل في بلاد هذيل سكنه بني نفاثة[٣].

مجنة: ماء لبني الديل بتهامة[٤].

المنصحية: ماء لبني الدئل بتهامة[٥].

وضيق: جبل يسكن بنى عبد بن عدى بن الديل في نصفه، وفي النصف الأخرى يسكنه هذيل[٦].

ضان: جبل لبني الديل[٧].

جدة: كانت هوزتها بيد مالك وملكان ابني كنانة[٨] وعلى ساحل جدة معبودهم سعد[٩].

---

(١) الزمخشرى: الجبال والأمكنة والمياه، ص٧٣.

(٢) الحموى: ج٤ص٣٩٩.

(٣) الحموى: ج٦ص٢٧٩.

(٤) الزمخشرى: المصدر السابق، ص٣٣، الحموى: ج٧ص٢٠٩.

(٥) الحموى: ج٨ص٣٣٠.

(٦) الحموى: ج٨ص٤٥٨.

(٧) الزمخشرى: ص١٠١.

(٨) عواطف سلامة: المرجع السابق، ص٣٢.

(٩) ابن الكلبى: الأصنام ، ص٥١.

المريسيع: ماء بنجد في ديار بني المصطلق من خزاعة[١].

برك الغماد: من ديار القارة، وهو الموضع الذى لقي فيه ابن الدغنة سيد القارة الأحابيش أبى بكر الصديق عندما خرج مهاجراً للحبشة[٢].

عسفان: من ديار بني المصطلق[٣].

ويبعد نحو ٨٠كم عن مكة شمالاً[٤].

قديد: وادٍ فحل من أودية الحجاز التهامية[٥]، يبعد عن مكة نحو ١٢٠كم[٦].

ومن الأماكن الأخرى التى ارتبطت بقبائل الأحابيش، جبل حبشي الذي عقدوا حلف الأحابيش عنده، ويسمى الآن جبل السليمانية، وهو الذى يمتد من نفق ابن الزبير إلى ثنية المدينة، وقد فتح اليوم نفقان يربطان بين الأسطح وجرول[٧]، ويسمى عند البكرى حبيش[٨]، والأدق حُبشي.

---

(١) البكرى: المصدر السابق، ج٤ص٨٨.

(٢) البكرى: السابق، ج١ص٢٢٥.

(٣) الحربى: السابق، ص٤٦٣؛ إبراهيم قريبى: المرجع السابق، ص٥٣، ٥٥.

(٤) البلادى: المرجع السابق، ص٢٠٨.

(٥) البلادى: السابق، ص٢٤٩.

(٦) أكرم العمرى: المرجع السابق، ج٢ص٤٠٤.

(٧) عبد الله الغازى: إفادة الأنام، ج٢ ص٣٤، هامش رقم ٩.

(٨) البكري: معجم ما استعجم ، ج٢ ص٦١.

جبيل القارة: وهو الذي تسمى القارة الأحابيش في أحد الأقوال على اسمه[١] ذات نكيف والمشلل، وقد مر الحديث عن المعارك التى خاضها الأحابيش وقريش هناك ضد بنى ليث، وكذلك يلملم التى كان بها أحد القارة ومنهم عواف القاري الذي كان حليفاً لهشام بن المغيرة والعاص بن وائل[٢] وبسببه هاجت الحرب بين قريش ومن معها من الأحابيش ضد بني ليث.

الغميصاء: كان يسكنه بني جذيمة الكنانيين[٣]، وتقع الغميصاء بتهامة الحجاز[٤].

هذه هى أشهر الأماكن التى استوطنتها قبائل الأحابيش والتى جاء فيها نصاً صريح، وذلك في فترة قبل الإسلام، أما في صدر الإسلام فقد حدثت هجرات لبعض القبائل الأحابيش، إلى المدينة والكوفة والبصرة وميزها من الأماكن، ومن الأمثلة التى جائت عن تلك الهجرات:

١- الهجرة إلى المدينة، فقد هاجر إليها بنو المصطلق وأخوانهم من بنى كعب بن عمرو ظاهر مرة بنى عفيدة[٥]، إلى دار عمر بن عبد العزيز

---

(١) البلاذرى: ج١ص٧٧.

(٢) ابن حبيب: المنمق، ص١١٧.

(٣) البكرى: ج٣ص٢٥٨؛ الحموى: ج٦، ص٣٩٧.

(٤) الهمذانى: صفة جزيرة العرب، ص٥٩٦.

(٥) في وفاء الوفا: حرة بنى العفيدة،وهي غرب وادى بطمان. السمهودى: ج٤ ص٥٧

بالحرة، إلى الدار التى يقال لها- دا رالحزازين[١] بالحرة الغربية[٢].

كما هاجر بنو الديل بن بكر إلى موضع عرف بمحلة بنى الديل بن بكر، وهى ما بين محلة بنى ضمرة إلى الدار التى يقال لها "دار الخرق" حدّها زقاق الحضارمة ويدعى الخط العظيم لها إلى بنى ضمرة ، إلى جبل في مربد أبى عمار بن عبيس من بني الديل ، يقال له المستندر إلى دار الصلت ابن نوفل النوفلي التى بالجبانة[٣].

كما نزل أبو نمر بن عويف من بني الحارث بن عبد مناة[٤] بن كنانة على بني ليث بن بكر، فأتخذ الدار التى يقال لها "دار آل أبى نمر" وهى في خط بني أحمر بن ليث[٥].

٢- مكة كان بها بعض الرباع للقارة مثل ربع آل قارظ القاريين وهى الدار التى يقال لها دار الخلد على الصيادلة بين الصفا والمروة[٦]، وربع الأنمار القاريين، وهى على المروة على أصحاب الأدم من ربع آل

(١) ابن شبه: تاريخ المدينة المنورة، تحقيق/على محمد دئدل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٦، ج١، ص١٦٣.

(٢) السمهودى: وفاء الوفا، ج٢ ص٢٦٩.

(٣) ابن شبه: تاريخ المدينة، ج١ص١٦٠؛ السمهودى: ج٢، ص٢٦٥.

(٤) يقول ابن شبه والسمهودى: بنى الحارث بن عبد مناف والصواب بنى عبد مناه السمهودى: ج٢ص٢٦٠.

(٥) ابن شبه: المصدر السابق، ج١ص١٦٠؛ السمهودى: ج٢ص٢٦٥.

(٦) الأزرقى: ج٢ص٦٥٤.

الحضرمي إلى رحبة عمر بن الخطاب مقابل زقاق الجزارين، الذى يسلك على دار عبد الله بن مالك ،و وجه هذا الربع أيضاً بين الدار مما يلي البرامين، وفيه دار أم أنمار القارية، وكانت برزة من النساء، كانت رجال قريش يجلسون بفنائها يتحدثون[١]، وكانت أم أنمار هذه تاجرة بمكة تبيع وتشترى[٢]، ويقال أن النبي- صلى الله عليه وسلم- كان يجلس في ذلك المجلس ويتحدث بفنائها، وهذا الربع بيت قديم جاهلى بناؤه الأول، وقد دخل البنى- صلى الله عليه وسلم- هذا البيت كما يقال وفي هذا الربع مسجد صغير يقال أن النبي- صلى الله عليه وسلم- صلى فيه وقد تم شراؤه في عهد الأمويين ثم العباسيين في عهد أبى جعفر المنصور[٣] كما اتلك طارق بن المرتفع من بني الحارث ابن مناة بساتين في مكة[٤].

٣- البصرة: نزل فيها بعض بنى الدئل من قوم أبى الأسود[٥] وكان أبو الأسود الدؤلي أشهر من نزل البصرة وتولي فيها العديد من المناصب- كما سبق القول- وتوفي أبو الأسود بالبصرة[٦].

٤- الكوفة: هاجر إليها جماعة من الأحابيش في عهد الخليفة عمر بن

---

(١) الأزرقى: ج٢ص٦٥٥؛ الفاكهى: ج٣ص٣١٧.

(٢) الفاكهى: ج٣ص٣١٧.

(٣) الأزرقى: ج٢ص٦٥٥.

(٤) الفاكهى: ج٤ص١٢٥.

(٥) أبو سعيد السكرى: ديوان أبو الأسود، ص٤٣١.

(٦) البلاذرى: ج١١ص١١٧.

الخطاب[١]- وقد سبق الحديث عن ذلك- واشتهر بها من المحدثين عمرو بن الحارث المصطلق أخو السيدة جويرية بنت الحارث أم المؤمنين وعمرو بن الحارث يعد في الكوفيين[٢].

ويرى الباحث أن كثرة الأماكن التى استقرَّ فيها قبائل الأحابيش سواء في الجاهلية أوصدر الإسلام ليدل على كثرة عدد سكان الأحابيش ، ويمكن تقدير عددهم بما لا يقل عن عشرة آلاف نسمة على أقل تقدير، فمثلاً كان عدد الأحابيش المقاتلين في غزوة أحد وحدها ألفين[٣] على الرغم من عدم اشتراك كل قوات الأحابيش في أحد، هذا بخلاف النساء والشيوخ والأطفال والمقعدين الذين لم يشاركوا في الحروب التى خاضها الأحابيش.

مظاهر الحياة الاجتماعية في مجتمع الأحابيش:-

المأكل والمشرب: لم تختلف الأطعمة والأشربة لدى الأحابيش كثيراً عما كان موجوداً عند غيرهم من العرب المجاورين لهم كأكل اللحوم والتمر وشرب اللبن والخمر في بعض الأحيان ، لكن كان للأحابيش أطعمة معينة يتناولونها أو يمتنعون عنها في أوقات معينة، فمثلاً في الحروب كان المحاربون الأحابيش يتناولون الخزير كما في حرب الفجار

---

(١) الطبرى: ج٢ص٥٦١.

(٢) أبو نعيم: معرفة الصحابة، ص٢٠٠٢.

(٣) السيوطى: لباب النقول، ص١٥٨.

الرابعة[١] والجُزر في يوم الحديبية[٢]، وفي موسم الحج كان الحمس الذين منهم الأحابيش كانوا يحرمون الزبد وتصفية السمن[٣].

اللباس: كان الأحابيش يرتدون الملابس التى يرتديها أيضاً غيرهم من العرب، لكن في موسم الحج كان الحجاج منهم لا يلبسون شيئاً مصنوع من الصوف ولا الشعر ولا الوبر[٤].

وفي الحروب كان الجنود الأحابيش يرتدون أدوات الحرب كالدروع وغيرها، ويعطى الصحابي كعب بن مالك صورة عن ذلك عن هيئة الأحابيش يوم أحد:

فجئنا إلى هوج من البحر وسطه أحابيش منهم حاسر ومقنع[٥].

الزواج والمصاهرة في مجتمع الأحابيش:

مما لاشك فيه أن الزواج من السنن التى من غيرها لا تستقيم الحياة البشرية ولا الوجود البشرى على سطح الأرض، ولقد كان الزواج عند الأحابيش من الأشياء المهمة وحرص الأحابيش على انتقاء الأزواج والزوجات في مجتمعهم، ولم يكن الأحابيش منغلقين على أنفسهم في

---

(١) ابن حبيب: المنمق ، ص ١٧٠.

(٢) الواقدي: المغازي ، ج٢ص٧٥.

(٣) حسين مؤنس: المرجع السابق ص١٧٩

(٤) المحب الطبري: القرى ، ص ٣٨١.

(٥) ديوا كعب بن مالك ص ٦٠. وهوج معناها الشجاع الطويل ، وحاسر بمعنى كاشف الرأس.

الزواج والمصاهرة، بل إنهم قد اهتموا بمصاهرة القبائل الأخرى كقريش الحلفاء القدماء للأحابيش، ولقد تعدد أنواع الزواج في المجتمع العربي قبل الإسلام، ففى الصحيح أن السيدة عائشة قالت بـ "إن النكاح في الجاهلية كان على أربعة أنحاء ، فنكاح منها نكاح اليوم يخطب الرجل إلى الرجل وليته أو ابنته فيصدقها ثم ينكحها.

ونكاح آخر كان الرجل يقول لامرأته إذا طهرت من طمثها أرسلي إلى فلان فاستبضعي منه، ويعتزلها زوجها ولا يمسها أبداً حتى يتبين حملها من ذلك الرجل الذى تستبضع منه، فإذا تبين حملها أصابها زوجها إذا أحب، وإنما يفصل الرجل ذلك رغبة في نجابة الولد، فكان هذا النكاح نكاح الاستبضاع.

ونكاح آخر يجتمع الرهط ما دون العشرة فيدخلون على المرأة كلهم يصيبها، فإذا حملت ووضعت ومر ليال بعد أن تضع حملها أرسلت إليهم، فلم يستطيع رجل منهم أن يمتنع حتى يجتمعوا عندها، تقول لهم: قد عرفتم الذى كان من أمركم، وقد ولدت، فهو ابنك يا فلان، تسمى من أحبت باسمه، فيلحق به ولدها لا يستطيع أن يمتنع به الرجل ونكاح الرابع يجتمع الناس الكثير فيدخلون على المرأة لا تمنع من جاءها، وهن البغايا كن ينصبن على أبوابهن رايات تكون علما، فمن أرادهن دخل عليهن، فإذا حملت إحداهن ووضعت حملها جمعوا لها، ودعوا لهم القافة ثم ألحقوا ولدها بالذى يرون، فالتاطته به ودعى ابنه لا يمتنع من ذلك، فلما بعث

محمد- صلى الله عليه وسلم- بالحق هدم نكاح الجاهلية كله، إلا نكاح الناس اليوم[١].

هذا ولقد كان هناك أنواع أخرى من الزواج مثل:-

نكاح المتعة: وهو تزويج المرأة إلى الرجل لهدف، فإذا انقضى افترقت عنه، وفي هذا الزواج يقدم الزوج صداقاً معيناً ويكون لأولاده حق الانتساب إليه وحق الإرث.

نكاح السبى: ويقضى بأن يتزوج الرجل المحارب من إحدى النساء اللاتى وقعن سبايا، ولا يشترط في هذا الزواج أن يدفع الزوج صداقاً.

نكاح الإماء: من حق العربي أن يتزوج من أمته فإذا أنجب منها أبناء لا يحق لهم أن يلحقوا بنسبه، بل يظلوا عبيداً له وقد يعتقهم إذا رغب في ذلك.

نكاح المقت: -

كان الرجل إذا مات عن امرأة أو طلقها قام أكبر بنيه من غيرها، فإن كان

له فيها حاجة طرح ثوبه عليها وإن لم يكن له فيها حاجة تزوجها بعض

---

(١) البخارى: حديث، رقم ٥١٢٧.

إخوته بمهر جديد[١].

وكان من أبرز الذين قاموا بذلك الزواج عمرو بن نفيل[٢].

ولقد كان العرب يعيبون المتزوج بامرأة أبيه ويسمونه الضيزن[٣]، ولقد كانت هذه عادة قديمة على ما يبدو، فقد ورد النهى عنها في التوراة:" لا يتزوج أحد أرملة أبيه لأن هذا عار وإهانة لأبيه"[٤].

وتذكر كتب الأنساب والأخبار أن كنانة بن خزيمة قد نكح زوجة أبيه برة بنت مر بن أد بعد وفاته، فولدت له ولده كلهم إلا عبد مناة[٥] بن كنانة، فأمه الذفراء واسمها فكيهة بنت هنى بن بلى بن عمرو بن الحاف بن قضاعة[٦]، وقد انجب كنانة منها ملكاً وملكان ومليكا وغزوان، وإخوتهم لأمهم أسد وأسدة والهون بن حزيمة[٧]، وكان النضر أيضاً من

(١) السيد داود: المرجع السابق، ص١٣، ١٤.

(٢) ابن حبيب: السابق، ص٥٩. وعمرو هذا هو والد زيد بن عمرو بن نفيل الذى كان يحيى الموءودة.

(٣) ابن حبيب: السابق، ص٥٩؛ أبو الفدا: المختصر، ج١ص١٢٦.

(٤) سفر التثنية الاصحاح ٢٢، الأية٣٠.

(٥) في مثالب العرب لابن الكلبى عبد مناف والصحيح عبد مناة.

(٦) ابن الكلبى: مثالب العرب، تحقيق/نجاح الطائى، دار الهدى، بيروت،٢٠٠٨م، ص٧٧؛ الزبيرى: ص١٠.

(٧) الزبيرى: ص١٠.

نتاج زواج كنانة بزوجة أبيه برة[١]، والنضر هو الذى منه كانت قريش ويرى البعض أن زواج الرجل بامرأة أبيه كان مباحاً في الجاهلية بشرع متقدم ولم يكن من المحرمات التى انتهكوها ولا من العظائم التى ابتدعوها، لأنه أمر كان في عمود النسب[٢].

و يروي الشامي نقلاً عن الجاحظ في كتابه "الأصنام" أن الإنجاب من زواج كنانة بامرأة أخية غلط وليس صواباً، وذلك أن كنانة لما خلف أباه على زوجته برة بعد وفاته وهى أم أسد والهون بن خزيمة ولم تلد لكنانة ولداً ذكراً، ولكن كانت بنت أخيها وهى برة بنت مر بن أد بن طانجة أخت لجثم بن مرة، عند كنانة بن خزيمة فولدت له النضر بن كنانة، وإنما غلط الناس لما سمعوا أن كنانة خلف على زوج أبيه، ولاتفاق اسمهما وتقارب نسبهما، وقع هذا الذى عليه أهل العلم والنسب[٣].

وقد أيد الشامي رأى الجاحظ ، واستندوا إلى قول- صلى الله عليه وسلم: مازلت أخرج من نكاح كنكاح الإسلام حتى خرجت من أبي وأمي[٤]، وقال أيضاً: "ما ولدنى من سفاح أهل الجاهلية شيء ما ولدنى إلا نكاح كنكاح أهل الإسلام[٥].

---

(١) ابن قتيبة: المعارف، ص٣٧.

(٢) الشامى: المصدر السابق، ج١ص٣٣٥.

(٣) الشامي سبل الهدى، ج١ص٣٣٦.

(٤) الشامى: السابق ،ج١ص٣٣٧.

(٥) ابن سعد: السابق، ج١ص٢٢.

ويستدل من قول النبي- صلى الله عليه وسلم-: "إن الله اختار العرب، فاختار كنانة من العرب، واختار قريشاً من كنانة، واختار بنى هاشم من قريش، واختارني من بنى هاشم[١] ليدل على نقاء نسب النبي- صلى الله عليه وسلم- وعلى كل حال، لقد حرم الإسلام زواج المقت هذا، قال تعالي: ﴿ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف﴾[٢].

ومما سبق ذكره يتبين أن عبد مناة الذى منه بنو الحارث بن عبد مناة، وبني الديل بن بكر بن عبد مناة من نكاح نقى، كما أن أبناء المصطلق والحيا الأحابيش من نكاح نقي، فأم أبيهم أم خارجة التى ضرب بها المثل في سرعة النكاح[٣].

كما اتضح نقاء نسب الهون بن خزيمة ، فأمه برة بنت مر، وهو أخو كنانة بن خزيمة، وأبوهما خزيمة بن مدركة[٤]، كما أن القول الذى قاله الجاحظ من أن كنانة لم ينجب أولاد من برة زوجة أبيه، وإنما أنجب أولاد كمالك ابن كنانة[٥] الذى منه الأحابيش ليدل على نقائهم أيضاً.

أما عن أبرز المصاهرات التى تمت بين قبائل الأحابيش مع القبائل الأخرى، فمنها: فكان من أقدل تلك المصاهرات، نزول جعثمة بن مبشر

---

(١) سورة النساء: آية ٢٢.

(٢) الضبى: أمثال العرب، ص١١.

(٣) البلاذرى: ج١١ص٨٤.

(٤) الزبيرى: ص١٠.

(٥) ابن قتيبة: ص٣٩.

من قبيلة الأزد التى هاجرت من مأرب، في بنى الديل ابن بكر، فحالفهم وزوجهم وزوجوه[١]، كما تزوج عامر بن عوف مسك الذئب من بنى الحارث بن عبد مناة من ريطة بنت عبد مناف بن قصي[٢]، كما تزوج والد أبى الأسود الدؤلي من بني عبد الدار بن قصي، فأم أبو الأسود هى الطويلة من بني عبد الدار ابن قصي[٣].

كما تزوج عمرو بن شيبان بن محارب بن فهر من عدية بنت وائلة بن كعب من بني الحارث بن عبد مناة[٤]، كما تزوج الحارث بن فهر من الوارثة بنت الحارث بن مالك بن كنانة، وتزوج وديعة بن الحارث بن فهر بن عميرة بنت الأحمر بن الحارث بن عبد مناة[٥].

كما تزوج هاشم بن عبد مناف بن قصي بقيلة وهى الجزور بنت عامر بن مالك بن جذيمة المصطلق[٦].

كما تزوج عبد الرحمن بن العوام جمينة بنت عبد العزى بن قطن من بني المصطلق وهي من المبايعات[٧].

---

(١) ابن سعد: ج١ص٩٣؛ ابن حبيب: ص٨٢.

(٢) ابن حبيب: ص٢٣١.

(٣) ابن خياط: الطبقات، ص١٩١؛ البلاذرى: ج١١، ص١١٠.

(٤) ابن الكلبى: جمهرة النسب، ص١١٩- ١٢٠.

(٥) ابن الكلبى: السابق، ص١٢٣.

(٦) ابن سعد: ج١، ص١١٤؛ البلاذرى: ج١، ص٨٧.

(٧) الزبير بن بكار: جمهرة نسب قريش، ج١ص٣٥١.

وقد تزوج صفوان بن أمية من البغوم بنت المعذل من بنى الحارث بن عبد مناة بن كنانة، كما تزوج ثعلبة بن تيم بن غالب من فاخته بنت الحارث بن عبد مناة بن كنانة، كما أن والدة حفص بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم كانت من بني الأحمر بن الحارث بن عبد مناة بن كنانة، كما أن والدة هاشم بن عتبة بن أبى وقاص بنت خالد بن عبيد بن سويد من بنى الحارث ابن عبد مناة[١]، كما تزوج عبيد الله بن عباس من أم حكيم بنت قارظ بن خالد من بنى الحارث بن عبد مناة[٢].

كما أن أم محمد بن مسلم بن عبد الله الأصغر بن شهاب من بنى الديل[٣]. هذه هى أشهر المصاهرات التى تمت بين قبائل الأحابيش مع القبائل الأخرى، وهناك شيء أود أن أوضحه، وهو ادعاء بعض الباحثين بأن أمهات الأحابيش زنجيات[٤] فإن ذلك غير صحيح، فعلى سبيل المثال ذكر ابن الكلبى وابن حبيب العديد من أسماء العرب الذين ترجع أصول أمهاتهم إلى الحبشة، سواء من قريش كالخطاب بن نفيل وأمه من الحبشة، وعثمان بن الحويرث وصفوان بن أمية وهشام بن عقبة بن أبى معيط، وغيرهم الكثير من قريش[٥] بالإضافة إلى أبناء القبائل العربية الأخرى كعنترة بن شداد العبسي وأمه زبيبة وعبد الله بن سبأ، وأبرهة بن الصباح

---

(١) ابن بكار: السابق، ج٢ص٥٣٧، ٦٦٥، ٨٧٧، ٩٧٩.

(٢) الزبيرى: ص٣١؛ ابن بكار: ج٢ص٥٣٩.

(٣) ابن بكار: ج٢، ص٥٧٤.

(٤) montogomry wat: muhammed at mecca. P.١٥٦

(٥) ابن الكلبى: المثالب، ص١١٤- ١١٥؛ المنمق: ص٤٠٠.

الحميرى وأمه بنت أبرهة الأشرم[١]، فلم يذكر من ضمن هؤلاء الأبناء ولا غيرهم اسم أي شخص من أبناء الأحابيش مما ينفي هذا الادعاء.

أضف إلى ذلك أن من الأحابيش من كان موصوفاً بالجمال كالسيدة جويرية بنت الحارث المصطلقية زوجة النبي- صلى الله عليه وسلم-، وقد أشاد بجمالها السيدة عائشة – رضى الله عنها- فقد كانت امرأة حلوة لا يكاد يراها أحد إلا أخذت بنفسه[٢].

وكان من الذين عرفوا بالجمال أيضاً على ما يبدو، السيدة أم رومان من بني غنم بن مالك بن كنانة، وهي زوجة أبي بكر الصديق- رضى الله عنهما- فقد قال النبي- صلى الله عليه وسلم- عنها: "من سره أن ينظر إلى امرأة من الحور العين فلينظر إلى أم رومان"[٣].

كما كانت أم حكيم زوجة عبيد الله بن عباس موصوفة بالجمال[٤]، ولم يكن الجمال مقتصراً على نساء الأحابيش فقط، بل كان من رجال الأحابيش من عرف بالجمال مثل خالد بن الحارث بن عبيد من بني الحارث بن عبد مناة[٥].

---

(١) ابن الكلبى: السابق، ص١١٦.

(٢) ابن سعد: ج٨ ص١٣٨.

(٣) ابن سعد: ج٨، ص٣١٩- ٣٢٠.

(٤) الأصفهانى: ج١٦، ص٢٩٤.

(٥) ابن حبيب: ص٢٣٩.

ولاشك أنه لمكانة الأحابيش وفضلهم، وكان منهم أعز وأنجد بني كنانة كبني الحارث بن عبد مناة[١] أن تسارع العرب لمصاهرتهم، وتقوية الحلف والنسب بينهم وبين الأحابيش، كما أنه أيضاً لفضل بعض القبائل كقريش حرص الأحابيش على مصاهرتهم أيضاً.

العادات والتقاليد في مجتمع الأحابيش:

لقد تنوعت العادات والتقاليد في مجتمع الأحابيش، ما بين عادات محمودة، وأخرى مذمومة، فمن العادات المحمودة الكرم، فقد اشتهر به بنو الحارث ابن عبد مناة[٢]، وسلمي بن نوفل بن معاوية الديلى بأنه من أجواد الجاهلية، كما كان من حكام العرب[٣].

الشجاعة: اشتهر أكثر الأحابيش بأنهم شجعان وفرسان كسارية بن زنيم الديلى[٤].

وكما كان بني الحارث بن عبد مناة أنجد بني كنانة[٥] وغيرهم الكثير من الأحابيش، كما كانوا يحترمون الموتى مثل موقف الحليس يوم أحد[٦] وبالرغم من وجود وانتشار عادات محموده في مجتمع الأحابيش، إلا أن

---

(١) القالي: ج٣، ص٢٥.

(٢) القالي: ج٣، ص٢٥.

(٣) ابن حبيب: المحبر، ص١٥٨، ١٦٣.

(٤) البلاذرى: ج١١، ص ١٠٧ .

(٥) القالي: ج٣ص٢٥.

(٦) ابن كثير: البداية والنهاية ، ج٤ص٤٠.

ذلك لا ينفى أنه كان هناك بعض العادات والأفعال الذميمة التى نهى عنها الإسلام بعد ذلك وحث على عدم فعلها، مثل البخل فقد ذكر البعض أن أبا الأسود كان بخيلاً[١]، ويرى الباحث أن أبا الأسود ليس بخيلاً كما يدعى البعض، فهو كان من العلماء والمفسرين، النحويين وكان من القضاة والولاة، والقراء، فكيف برجل تجتمع فيه هذه الصفات، ويكون بخيلاً ؟!

حتى إن الجاحظ في كتابة البخلاء لم يذكر صراحةً أن أبا الأسود كان بخيلاً فقد نصح أبو الأسود أحد أبنائه ذات يوم قائلا له: إذا بسط الله في الرزق فابسط، وإذا قبض فأقبض، ولا تجاود الله، فإن الله أجود منك، وقال: درهم من حل يخرج في حق، خير من عشرة آلاف قبضاً[٢]، ويرى الباحث أن ذلك من الحكمة أن ينفق الرجل ماله ويضعه في موضعه، لأن ابن آدم سيُسأل يوم القيامة عن ماله من أين اكتسبه وفيما انفقه.

ومن الصفات الذميمة التى كان لدى بعض الأحابيش هي الحرص على عادة الأخذ بالثأر، كما فعل كلثوم بن الأسود بن سلمى بن رزن بن يعمر بن نفاثة الذى كان حريصاً على الأخذ بثأر له عند بنى الملوح بن يعمر[٣] وبالرغم من ذلك كان هناك من يدي القتيل كبني المصطلق[٤] وبنو

(١) البلاذرى: ج١١ص١١٦.

(٢) الجاحظ: البخلاء، المكتبة التوفيقية، القاهرة، د.ت، ص١٣.

(٣) ابن بكار: ج٢، ص٦٦٨.

(٤) ابن سعد: ج٨، ص١٣٥.

الأسود ابن رزن من بني الديل، فإنهم كانوا يودون في الجاهلية ديتين ديتين لفضلهم[١].

وكان من العادات والأفعال الجاهلية التى كان يقوم بها بعض الأحابيش أو الذين كانوا ينتسبون إلى بعض قبائل الأحابيش، كانوا يقطعون الطرق على المارة، فكان في جبل تهامة جمُاع من القبائل والأفخاذ كانوا يغصبون المارة[٢]، وكان هؤلاء جماعة من كنانة ومزينة والحكم والقارة ومن اتبعهم من العبيد[٣]، فلما ظهر رسول الله- صلى الله عليه وسلم- وفد منهم وفد على النبي- صلى الله عليه وسلم- فكتب لهم رسول الله- صلى الله عليه وسلم-" بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد النبي رسول الله لعباد الله العتقاء، إنهم إن آمنوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فعبدهم حر ومولاهم محمد ومن كان منهم من قبيلة لم يرد إليها، وما كان فيهم من دم أصابوه أو مال أخذوه فهو لهم، وما كان لهم من دين في الناس رد إليهم، ولا ظلم عليهم ولا عدوان، وإن لهم على ذلك ذمة الله وذمة محمد، والسلام عليكم"[٤].

---

(١) الفاسي: شفاء الغرام، ج٢ص١٣١.

(٢) ابن منظور: ج٢ ص٢٠٢.

(٣) جواد على: المفصل، ج٧، ص٣٣٠، محمد حميد الله: الوثائق السياسية، دار النفائس، بيروت، ط٨، ٢٠٠٩م، ص٢٧٨.

(٤) ابن سعد: ج٢ص٣٩٥- ٣٩٦.

وكان هناك من الأحابيش من تم خلعه من القبيلة كسارية بن زنيم الديلي[١] ولكن لما ظهر الإسلام هداه الله وأصبح من القواد الفاتحين.

وكان من الأشياء التى تميز بعض المناطق الخاضعة لقبائل الأحابيش وكانت أيضاً من الأشياء التى يذمها المرء هى الغارات التى كانت تتم من القبائل على المناطق المجاورة، فلم يكن الأحابيش أيضاً بمعزل عد تلك الإغارات، والحروب التى كانت تقوم في بلاد العرب قبل الإسلام، فيوماً يكون أحد قبائل الأحابيش هم المغيرون، وأحياناً أخرى يكونون هم المغار عليهم، فعلى سبيل المثال خرج قوم من هذيل يريدون بني عضل والديش وهم بالمرخة القصوى اليمانية، وكان الهذليون بقيادة عمرو بن خويلد بن واثلة بن مطحل الهذلي، وفي أثناء طريقة إلى ديار عضل بن ديش، قدم إلى أهل دار من بني قريم بن صاهلة بالمرخة الشامية، فسألهم عن بني عضل، فأخبره بمكانهم، ونهوه عنهم، إلا أنه لم يستجيب لهم، وسار في طريقة إلى بنى عضل، وكان عند بني قريم رجل من بنى عضل وأخت له تحت رجل من القوم، فسمع هذا العضلي ما دار بين الهذليين والقريميين، فخرج إلى قومه وأعلمهم بالأمر، فأخذ بني عضل خدرهم وكمنوا للهذليين وعندما ارتفع نهار اليوم التالي رموا الهذليين بالنبل فقتل عمرو بن خويلد بن واثلة كما قتل سعد بن أسعد سيد بنو عضل على يد رجل من بنى قريم يدعى أبو كتيمة[٢].

---

(١) البلاذرى: ج١١ص١٠٧.

(٢) السكرى: شرح أشعار الهذليين، ج٢ص٦٣١- ٦٣٢.

كما خرج بنو عمرو بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل مغيرين يريدون بنى عبد بن عدى بن الديل، وقد كانوا عهدوهم في منزل، إلا ان بنى عبد بن عدى قد ظعنوا من ذلك المنزل قبل أن ينقض عليهم المغيرون[١].

كما حاول الشاعر الجاهلى الشهير تأبط شراً ذات يوم أن يغير على دار لبنى نفاثة بالتلاعة، لكن لم يكن هناك غير النساء ورجل واحد، فبصر هذا الرجل بالمغيرين، فأمر النسوة، بأن يجعلن شعر رءوسهن إلى السيوف، فجعلن لها حمائل، ثم تأبطنها ثم نهض الرجل والنساء وأمرهن أن لا يبرزن

أحداً، وجعل هو يبرز للقوم ليروه، وطغق يغرى ويصيح على القوم، حتى ذهب تأبط ومن معه بعيداً[٢].

كما شارك أحد بني المصطلق مع بعض بني كنانة في إحدى الغارات على نجد مغيرين[٣]، كما قام أحد الشعراء الجاهليين ويدعى صخر الغي بن عبد الله الخثعمى بالإغارة على بني المصطلق، إلا أن بني المصطلق أحاطوا به وجرحوه[٤].

---

(١) السكرى: السابق، ج٢ص٥٤٨.

(٢) الأصفهانى: ج٢١ص١٧٧- ١٧٨.

(٣) السكرى: ج٢ص٨٦٨.

(٤) السكرى: ج٢ص٤٨٠.

ومن العادات الأخرى التى تلفت الانتباه وتعتبر عادة شاذة هى قيام بعض القبائل بأكل لحوم البشر، فيقال أنه كان بعض القبائل العربية تأكل لحوم البشر كأسد وهذيل والعنبر وباهلة، فقد كانت امرأة من أسد تدعى رملة بنت فائد بن حبيب بن خالد بن نضلة قد أكلها زوجها وأخوها بسبب الغبط والغيرة[١]، ويقال إن بنى نفاثة عمدوا إلى رجل جار لهم في الجاهلية يقال له: حبيش بن فخدم، في أزمنة أصابت الناس، فشووه ثم تركوه أياماً حتى إذا قبَّ أكلوه[٢].

ومن الصفات الذميمة الأخرى التي مارسها بعض الأحابيش الغدر، مثل غدر عضل والقارة بأصحاب النبي- صلى الله عليه وسلم- يوم الرجيع[٣].

(١) الجاحظ: البخلاء، ص١٨٥.

(٢) السكرى:ج٢ص٧٢٩. ومن المحتمل أن يكون ذلك من المبالغات في الأحداث التى جاءت من فترة قبل الإسلام ، إلا أن هناك حوادث أخرى مشابهة تقوي حدوث ذلك الفعل، ففي عهد السلطان العادل الأيوبى (ت:٦١٥هـ) حدث غلاء بسبب توقف النيل عن الزيادة، وقد قام بعض الناس في هذه المجاعة بأكل غيرهم من الناس، حتى إن الأب كان يأكل ابنه مشوياً ومطبوخاً، والمرأة تأكل ولدها ، وفشا هذا الأمر حتى إن لحوم الأطفال كانت بالأسواق والطرقات مع الرجال والنساء مختفية، وكذلك في زمن الخليفة المستنصر الفاطمى (ت: ٤٨٧هـ) أكل الناس بعضهم بعضاً بسبب المجاعة أيضاً. المقريزى: إغاثة الأمة ، تحقيق/ كرم حلمى فرحات، عين الدراسات والبحوث ، القاهرة ، ط١، ٢٠٠٧م ، ص٩٨، ١٠٤.

(٣) ابن هشام: ج٣ص٩٨.

obeikandl.com

الخاتمة

لقد عرضت الدراسة العديد من الأمور المتعلقة الأحابيش، وتأتي في مقدمتها الأصل العربي للأحابيش بما لا يجعل هناك مجالاً للشك في عروبة الأحابيش وأصلهم ودمائهم العربية، وكان ذلك بعد عرض مختلف الآراء التي دارت حول أصلهم، سواء الرأي القائل بأنهم أحباش، أو الرأي القائل بأنهم عرب، أو الرأي القائل بأنهم مزيج من الحبش والعرب، وكان ترجيح بل والتأكيد على عروبة الأحابيش من خلال عرض كل الآراء التي دارت حول أصلهم ومناقشتها للخروج بأي تلك الأقوال أصح.

و بعد عرض الآراء المختلفة حول أصل الأحابيش تم التعرض للدور السياسي للأحابيش في العصر الجاهلي وصدر الإسلام، وفيه تم إبراز تكوين حلف الأحابيش كحلف سياسي، ثم عرض علاقته بالأحلاف السياسية الأخرى وكذلك الأحلاف الأخرى التي خرجت من حلف الأحابيش.

كما تم عرض حقوق وواجبات الأحابيش وسيدهم، وكذلك المواثيق التي تحالف وتعاهد عليها الأحابيش، ومحاولتهم الحفاظ على المواثيق التي تعاهدوا عليها.

و تستمر الدراسة في عرض الدور السياسي للأحابيش في صدر الإسلام وما آل إليه هذا الحلف بعد فتح مكة، وتدهور أوضاع الأحابيش.

كما قامت الدراسة بعرض الحياة العسكرية للأحابيش ودورهم في الحروب التي قامت في العصر الجاهلي وصدر الإسلام، وأبرزت الدراسة بعضاً من جوانب المواقف البطولية التي ظهر بها الأحابيش في الحروب سواء التي قامت في الجاهلية أو صدر الإسلام، وأبرز القادة الذين تولوا قيادة الأحابيش سواء في الجاهلية أو صدر الإسلام، وكذلك إبراز دور أبناء الأحابيش في حركة الفتوحات التي قامت في صدر الإسلام.

كما قامت الدراسة بعرض الملامح الدينية للأحابيش في العصر الجاهلي وموقفهم من الإسلام، وإبراز موقفهم من العبادات التي كانت منتشرة قبل الإسلام ، ثم توضيح موقفهم من الرسالة المحمدية وإبراز مواقفهم المختلفة من الإسلام، سواء كانت مواقف فردية أو مواقف جماعية، وتطور موقفهم من الرسالة المحمدية من موقف عدائي إلى تأييد للإسلام والدخول فيه والدفاع عنه ونشره.

و لقد قامت الدراسة بالحديث عن النواحي الحضارية للأحابيش وذلك من خلال إبراز إسهاماتهم في النواحي الحضارية في المجتمع العربي سواء في الجاهلية أو صدر الإسلام، وكان ذلك من خلال إبراز ملامح الحياة الاقتصادية الأحابيش، وكذلك إبراز الدور الفكري للأحابيش في الجاهلية وصدر الإسلام، موضحا الإسهامات التي قدمها الأحابيش في المجالات الفكرية المختلفة سواء في اللغة أو الشعر أو

العلوم الدينية بما فيها من علم التفسير والحديث وغيرها من العلوم، والتي برز فيها شخصيات عدة من مجتمع الأحابيش، كانت لإسهاماتهم الدور الكبير في إثراء الحياة فكرية في المجتمع العربي.

كما قامت الدراسة بإلقاء الدور على ملامح الحياة الاجتماعية للأحابيش، والعادات والتقاليد وغيرها من الملامح الاجتماعية التي شهدها الأحابيش مع غيرهم من العرب سواء قبل الإسلام أو بعده، وكذلك إبراز موقف الأحابيش من بعض العادات التي كانت منتشرة ببلاد العرب قبل الإسلام كواد البنات.

كما قامت الدراسة برسم صورة عن اشهر ألاماكن التي عاش فيها الأحابيش سواء في الجاهلية أو صدر الإسلام، وهجرة بعضهم من الأماكن التي كانوا يقيمون فيها قبل الإسلام.